السنة التاسعة　　العدد ١٣　　تموز　　سنة ١٩٠٦

المشرق

المرج النّضر والارج العطر

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعي

حصل جناب الاديب يوسف افندي إليان سركيس على كتاب مخطوط موسوم بهذا الاسم فضمَّهُ الى جملة مخطوطات مكتبته ثم طلب الينا ان نكتب فيهِ فصلًا لتعريفهِ فاجبنا الى طلبتهِ وها نحن نعرّف اوَّلًا صاحب هذا التأليف ثمَّ نصف كتابهُ ولا سيَّما النسخة التي اطَّلعنا عليها واخيرًا نقتطف منهُ بعض غررهِ تنويهًا بمحاسنهِ

١ صاحب الكتاب

كان اسم المؤلف مدوَّنًا في صدر الكتاب الَّا انَّ آفات الزمان قد عملت فيهِ فما بقي منهُ الَّا الفاظ داثرة لم نستطع قراءتها الَّا بعد الجهد الجهيد وها هوذا الاسم كما تمكَّنا من مطالعتهِ :

« كتاب المرج النظر (كذا) والارج العطر تأليف الشيخ الامام الفاضل العلَّامة صلاح الدين محمَّد بن السيّد الشريف العالم المرحوم ناصر الدين ابي بكر يحيى الشافعي السيوطيّ »

ولكن من هو هذا الشيخ السيوطيّ ؟ فمن المؤكد انهُ ليس السيوطيّ الشهير صاحب التآليف المتعدّدة لانَّ الكتاب اقدم منهُ عهدًا كما سترى فضلًا عن اختلاف اسمهِ فانهُ لا يُدعى كقولنا « صلاح الدين محمَّد » بل « جلال الدين عبد الرحمان » . وزد على ذلك انَّ الامام جلال الدين صنَّف تقويمًا لمؤلَّفاتهِ اثبتهُ مع ترجمة حياتهِ في كتاب حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة (١ : ١٥٣—١٥٦) فلم نجد في هذا الجدول ذكرًا لكتابنا . وعلى ظنّنا انَّ العلَّامة بروكلمان (Brockelmann: *Gesch. d. ar. Litteratur*, II, 158, N° 297) خُدع كغيرهِ من المستشرقين باسم السيوطيّ فنسب اليهِ غلطًا كتاب « المرج النضر »

فان كان صلاح الدين محمّد السيوطيّ مختلفًا عن جلال الدين السيوطي افليس هو اباهُ او احدًا من اجداده ؟ هذا بحث آخر لا يمكنّا الجواب عنهُ الّا بمقابلة نسب المؤلّفين وتعريف زمانهما . فانّ جلال الدين السيوطيّ وُلد في غرّه رجب سنة ٨٤٩ هـ وتوفّي في جمادى الاولى سنة ٩١١ (١٤٤٥—١٥٠٥) . وقد اعلمنا بنسبهِ مرارًا فهو « جلال الدين عبد الرحمان ابن كمال الدين ابي المناقب ابي بكر بن محمّد بن سابق الدين ابي بكر بن الفخر عثمان بن ناظر الدين محمّد بن سيف الدين خضر بن نجم ابي الصلاح ايوب ابن ناصر الدين محمّد بن الشيخ همام الدين الخضيري الاسيوطي » . امّا صلاح الدين محمّد صاحب المرج النّضر فلا نعرف من نسبتهِ غير الذي رويناهُ

أفهو ابو جلال الدين السيوطيّ ؟ لا نظن لأسباب . اوّلها انّ اسمهُ لا يوافق اسم ابي جلال الدين لأنّ اسم هذا كمال الدين ابو المناقب ابو بكر بن محمّد واسم صاحبنا صلاح الدين محمّد بن ابي بكر يحيى . ثانيها انّ والد جلال الدين السيوطيّ وُلد بعد الثمانمائة للهجرة وتوفّي سنة ٨٥٥ هـ (١٣٩٧—١٤٥١) امّا صاحب تأليفنا فعاش قبل ذلك العهد تدلّ على ذلك نسخة من كتابهِ كُتبت سنة ٨١٨ كما سترى وفي تأليفهِ اشارة الى بعض شيوخهِ سنة ٨١١ . ثالثها انّ جلال الدين ذكر تآليف والدهِ في حسن المحاضرة (١:٢٠٣) ولم يأتِ بذكر كتاب المرج النّضر

افيكون جدّ جلال الدين السيوطيّ ؟ هذا محتمل ان اعتبرنا زمنهُ . فانّ جدّ جلال الدين كان في اواخر القرن الثامن للهجرة واوائل التاسع كمؤلّف كتابنا . ثمّ ينطبق ايضًا الاسمان بعض الانطباق فانّ جدّ جلال الدين اسمهُ « محمّد بن سابق الدين ابي بكر » واسم مؤلّفنا « صلاح الدين محمّد بن ابي بكر ناصر الدين يحيى » فمن المحتمل انّ جلال الدين السيوطيّ سكت عن لقب جدّهِ « صلاح الدين » كما ضرب عن اسم ابي جدهِ يحيى فلم يذكر غير كنيتهِ « ابي بكر » امّا اللقب فيختلف في النسبين فهو في كتابنا ناصر الدين وفي جدول نسب السيوطيّ سابق الدين ولعلّهُ وهمٌ في هذا اللقب . فلا يبعد اذن ان يكون مؤلّف المرج النضر جدّ السيوطيّ من هذين الوجهين الّا انهُ يصدّنا عن القول بهِ ما كتبهُ جلال الدين السيوطيّ عن اجدادهِ حيث روى في حسن المحاضرة (١:١٥٣) : « ومنهم (يريد اجدادهُ) من كان تاجرًا . . . ومنهم من كان

متسوّلًا ولا اعرف منهم من خدم العلم حتّى الخدمة الّا والدي» فهذا الكلام ينفي كون التأليف لجدّ جلال الدين السيوطي

وان سألت ماذا يُعرف من احوال صاحب كتابنا اجبتُك أنا لم نجد شيئًا يفي بالمقصود بعد مراجعة ما لدينا من التآليف . وغاية ما امكنّا الحصول عليه نأخذهُ من نفس كتابه . فمن ذلك قولهُ في مقدّمته انهُ ألف كتابًا اسمهُ «رياض الالباب ومحاسن الآداب» في الادبيات . وهذا الكتاب هو اليوم مفقود لكنّ الحاج خلفا ذكرهُ في كشف الظنون (٣:٦١٥ من طبع اكسفرد) دون ذكر مؤلفه . ويستفاد ايضًا من كتابنا (ص٥٤٩ و ٥٦٦ و ٥٧٥) انهُ كان يلزم القاهرة ويدرس في المدرسة الفاضليّة في سنة ٨١١هـ (١٤٠٨) على الشيخ الجليل ابي زرعة احمد وليّ الدين ابن العراقي الشافعي الذي تولّى القضاء في القاهرة وتوفّي سنة ٨٢٤هـ (١٤٢١م) وهو يدعوهُ شيخهُ ويذكر انهُ اخذ من اماليه . فهذا جلُّ ما امكنّا جمعهُ عن مؤلفنا ولعلَّ ترجمتهُ المطوَّلة في كتاب الضوء اللامع في اعيان القرن التاسع او في المنهل الصافي لابي المحاسن بن تغري بردي وكلاهما لا يزال مخطوطًا

٢ تعريف الكتاب ونسخه

يعرف من هذا الكتاب ثلاث نسخ . الاولى في المكتبة الخديويّة (٤:٣٢٢) يقال عنها أنها «تأليف العلّامة محمّد ابن ابي بكر السيوطيّ المصري من علماء القرن التاسع» ثم يذكر بعض اسطر من فاتحتها توافق نسختنا . ويقال هناك انّ «النسخة في مجلّد يظهر انها بخطّ المؤلف» دون زيادة في التعريف . والنسختان الثانية والثالثة في خزانة كتب باريس العربيّة (Fonds Arabe, n^os 3385, 3386) احداهما مكتوبة بخطّ المؤلف كما يؤخذ من حاشية في صدر الكتاب وذلك سنة ٨١٨هـ (١٤١٥م) في مجلّد طولهُ ٢٤ سنتمترًا في عرض ١٦ س صفحاتها ٣٩٨ وفي كلّ صفحة ١٦ سطرًا ويقال في تعريف المؤلف انهُ من نسل الحسن بن علي بن ابي طالب . والاخرى مكتوبة سنة ٨٨٥هـ (١٤٨٠م) صفحاتها ٥٠٢ وفي كلّ صفحة ٥٣ الى ٥٥ سطرًا طولها ٢٧ س في عرض ١٧ س

امّا النسخة الرابعة التي في ملك الاديب يوسف افندي اليان فدونك وصفها : طولها ١٧ سنتمترًا في عرض ١٣ س . وهي مجلّدة بجلد احمر وورق اخضر صفحاتها

٥٧٧ وفي الصفحة ١٧ سطرًا . وهي مكتوبة بخطّ نسخيّ دقيق على ورق صفيق بحبرين اسود واحمر . اوّلها :

« بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله فارض المكتوبات فهي خمس . وجاعل الملاذّ في الحواس الخمس . والصلاة والسلام على افضل الرسل الخمس . خاتم الانبياء والمرسلين المخصوص من الله بخمس . القائل بُني الاسلام على خمس . المرويّ عنهُ انَّ من الفطرة خمس . والمنقول من مفاتيح الغيب خمس . صلى الله عليهِ وعلى آلهِ وصحبهِ المبرّئين من اللمز والهمز والهمس . (اما بعد) فانّ فنّ الادب عزّ وقد استحسنهُ السلف . وتحلّى من بعدهم الخلف . فمن اتّسم به تشرّف . ومن اتّصف بهِ ملك امرة الكلام وتصرّف . . . . . ولمّا وقف بعض الاصحاب على كتابي رياض الالباب ومحاسن الآداب فأُعجب بهِ ورأى انَّ اختصارهُ يقصّر بالراغبين عن طلبهِ فاحببتُ ان انسج على ذلك المنوال . وازيدهُ عنهُ امثال . ولم اقصد الاطالة . خشية الملالة . فخير الامور اوسطها وحبّ التناهي غلط . وجمعتُ هذا الكتاب وبنيتهُ على خمسة ابواب وفصل كل باب منهُ بخمسة فصول . ليجد الناظر فيهِ غرضهُ محصول »

ثم يعدّد الابواب الخمسة مع فصول كلّ باب ونحن نذكر فقط الابواب وهي : ١ً في المحبّة ٢ً في الغزل والنسيب ٣ً في الخمريّات والروضيّات ٤ً في الادبيّات ٥ً فيما لا يلزم من غير ما تقدّم . ثمّ يذكر اسم الكتاب ويبيّن سبب اتّخاذه هذا العدد من الابواب والفصول ملغزًا باسم الذي اهدى لهُ الكتاب دون التصريح (ص٣) :

« ورسم ابوابهِ وفصولهِ بهذا العدد المسطور لمناسبتهِ لعدد حروف اسم مَن كُتب برسمهِ وهو غير مذكور . الجامع للاوصاف الحسان . الممدوح بكل لسان . تراهُ مستغنيًا عن مدح ممتدح غناء الظباء عن التكحيل بالكَحَل . وهو ان اخفيتَ اسمهُ عن ان تفوه بهِ الالسن . فليس يخفى على من يعلم خائنة الأعين . وقد سمّاهُ الله تعالى في سورة الرحمن . على سبيل الامتنان . لا زال جنابهُ رفيعًا . وحماهُ منيعًا . . »

وهذه المقدّمة طويلة تنيف على ثماني صفحات . وقد جمع الكاتب في الابواب والفصول من اقوال الشعراء في كل معنًى شيئًا كثيرًا يدلّ على وفرة آدابهِ وسعة محفوظاتهِ من الشعر لا سيّما الشعر الاسلامي . والنثر فيهِ قليل في ثلثيهِ الاوّلين والشعر نادر في الثلث الاخير . امّا من حيث ضبط الكتاب والتدقيق في رواياتهِ فحسن بالاجمال لكنّهُ لا يخلو من الاغلاط امّا لسهو الناسخ وامّا لجهلهِ . وقد كُتب في ختامهِ (ص٥٧٧) اسم ناسخهِ وسنة النسخ هكذا :

على يد فقير رحمة ربهِ علي بن احمد بن عُمر بن خلف بن محمود السخاوي الحنفيّ غفر الله لهُ ولوالديهِ ولجميع المسلمين في ثامن عشر من شعبان المكرَّم سنة ستّ وثمانين وثمانمائة (١٤٨١م)

٣ نخبة من ملحهِ

نقسم هذه النخبة الى نظم ونثر فنروي من كليهما بعض شذرات تفكيهاً للقرَّاء

قال عليّ بن البرقيّ الكاتب في الدمع عند الفراق :

رماني الدهر منهُ بكل سهمٍ ففرَّق بين احبابي وبيني
ففي قلبي حرارة كلّ قلبٍ وفي عيني مدامعُ كلّ عينِ

وقال نجم الدين بن اسرائيل :

بكيتُ من وجدي عليهِ دماً فناظري بالدمعِ مقروحُ
وقلتُ طرفي بالهوى شاهدٌ فقال ذا الشاهدُ مجروحُ

وقال صفيّ الدين الحلي في وصف عود :

عودٌ حوت في الارض اعوادُهُ كلّ المعاني وهو رطبٌ رخيمْ
بمارَ تشدو الوُرْق في شجوهِ ورقّةِ الماء ولطف النسيمْ

ولابي العلاء المعرّي في وصف الشمعة :

وصفراء لون التبر مثل جليدةٍ على غِيَرِ الايَّام والعيشةِ الضَّنْكِ
تريك ابتساماً دائماً وتجلُّداً وصبراً على ما نالها وهي في الهُلْكِ
فلو نطقت يوماً لقالت اظنّكم تخالون [اني] من حذار الردى ابكي
ولا تحسبوا دمعي لوجدٍ وجدتُهُ فقد تدمع العينان من شدّة الضحكِ

وقال آخر في قصب السكَّر :

رماحُ شهد شهدنا أنها انفردت بطيب طعمٍ فلا شيء يدانيها
تخضرُّ حيناً فتحكي في تلونها لون الزمرُّد تفصيلًا وتشبيها
مفصّلات فصولًا بينها عُقَدٌ حلَّت ودقَّت وفاقت من يعانيها
ليست تطيب ولا تحلو مذاقتُها حتَّى تشيب وما شابت نواحيها

وقال آخر في تغريد الحمائم وقيل انهُ للشبلي :

ربَّ ورقاء هتوفٍ بالضحَى ذات شجوٍ صدحت في فَنَنِ
ذكرتْ الفاً ودهراً صالحاً فبكتْ حزناً فهاجت حَزَني
فبكائي ربَّما أرَّقها وبكاها ربَّما أرَّقني
ولقد اشكو فما افهمها ولقد تشكو فما تفهمني
غير اني بالجوى اعرفها وهي ايضاً بالجوى تعرفني

وقال القاضي الفاضل يعتذر لمن عاتبهُ في قطع المكاتبة :

لا تحسبنّي للعهود مضيّعاً حفظي لودّك مذهبٌ لا يذهبُ
عفتُ الترسّلَ طامعاً ان نلتقي فابى الزمانُ يبيحُ لي ما اطلبُ

وتأخرت كتبي فقلتُ أعاتبٌ ... في ذاك انت عليَّ ام متعتبُ
واذا وجدتُك في الضمير ممثّلًا ... ابدًا تناجيني الى مَن اكتبُ

ومثلهُ قال آخر :

وما أُؤخر كُتبي عنك من مَلَلٍ ... الّا أُخفّف عن نماك اثقالي
الكُتْب تصلحُ للنائي البعيد فما ... بالي أُكاتب مَنْ ألقاهُ في بالي

وقال آخر في تواضع الكبار :

انَّ التواضع في الشريف جمالهُ ... والكبر فيهِ المقتُ والبغضاءُ
لا نقص في متواضعٍ ذي سؤددٍ ... بل تستقيم لهُ بهِ العلياءُ
فالزمهُ عند ذوي العقول فانّهُ ... زينٌ ومجدٌ طارفٌ وسناءُ
والعجبُ فيهِ آفةٌ ونقيصةٌ ... تُردي الفتى وكذلك الخُيلاءُ
ودّي التواضع عند ذي جهل يُرى ... انَّ التواضع ذلَّة وقماءُ

وللسراج الورّاق في الصفح عن الزّلات :

سأُلزم نفسي الصفحَ عن كلّ مذنبٍ ... وان كثرت منهُ اليَّ الجرائمُ
فما انا الّا واحد من ثلاثة ... شريفٌ ومشروفٌ ومثلٌ مقاومُ
فامّا الذي فوقي فاعرف قدرهُ ... وأتبع منهُ الحقَّ والحقُّ قائمُ
وامّا الذي مثلي فان زلَّ اوعفا ... تفضلتُ انَّ الفضل للحرِّ لازمُ
وامّا الذى دوني فلستُ اجيبهُ ... اصون لهُ عرضي وان لام لائمُ

وقيل في الصبر :

ادفع بصبركَ حادثَ الايّامِ ... وترجَّ لطف الواحد العلاّمِ
لا تيأسنَّ وان تضايق لومها ... ورماك ريبُ صروفها بسهامِ
فلهُ تعالى بين ذلك فرجةٌ ... تخفى على الابصار والاوهامِ
كم من نجا من بين اطراف القنا ... وفريسةٍ سلمت من الضرغامِ

وقال شيخنا وليّ الدين العراقي وقد املانيهِ مستهلّ صفر احدى عشرة وثمانمائة لنفسه :

بادر لرشدك فالاوقات تُنتَهَزُ ... واعقل فديتُك هذا العمر منصرمُ
واعمل لأخراك لا تنظر الى احدٍ ... واهل لنفسك فالاعمار تخترمُ
لا تركنَنّ الى الدنيا وزينتها ... وكن لأُذنيك عن تطريبها صَمَمُ
فبينا المرء في الاحياء مغتبطًا ... اذ صار من جسمهِ لو قد ترى رِمَمُ

☆

ومما استحسناهُ بالنثر الروايات الفكاهية الآتية :

انَّ الحمل الشاعر كان صاحب نادرة فرآهُ صديق له يأكل سمناً فقال لهُ : يا ابن عبدالله لا تأكل السمن فانهُ سمّ زيدت فيه نون . فقال لهُ : وينبغي لك ان تأكل الحيَّة لأنها حياة سقط منها الالف

ويُحكى انَّ رجلًا صادف جاريةً ومعها طبق مغطًى فقال لها : يا جارية ما في هذا الطبق . فقالت : والله يا سيّدي ما غطَّيناهُ الَّا حتى لا يعرف فضوليّ مثلك ما فيه

من نوادر الاعراب ما أُخبر عن رجل منهم انهُ وقف على قوم فسأَل عن اسمائهم فقال احدهم : اسمي مُحرز . وقال آخر : اسمي وثيق . وقال آخر : اسمي منيع . وقال آخر : اسمي ثابت . فقال الاعرابيّ : ويحكم والله ما اظنُّ الأَقفال عُملت الَّا من اسمائكم

دخل لصّ الى دار وصاحبها منتبه فلم يجد في البيت شيئاً فلمَّا خرج قال لـهُ صاحب الدار : ردّ الباب من البرد . فقال لـهُ اللصّ : اي والله من كثرة ما اخذتُ لك تستخدمني

وقيل انَّ صاحب الشرطة أُتي بلص وقالوا : هذا وجدناهُ سرق جملًا . فقال لهُ : فعلتَ ذلك . فقال : كنت سكران وقد حملني عليه . فقال لهُ : لِمَ لا سرقتَ كلباً . قال : خشيتُ ان يعضَّني . فضحك منهُ وتركهُ

قال بعضهم : رأيتُ بالكوفة صبيًّا ومعهُ قرصة وهو يكسر لقمةً ويدخلها الى شقّ في حائط يخرجُ منهُ دُخان ويأكلها . (قال) فبقيتُ اتعجّب منهُ اذ وقف عليـهِ ابوهُ يسألهُ عن خبرهِ . فقـال الصبيّ : هؤلاء . (واشار الى اصحاب الحائط) قد طبخوا سكباجة حامضة كثيرة التوابل فانا اتأدَّم برائحتها . (قال) فصفعهُ ابوهُ صفعـةً كاد يقلع بها رأسهُ وقال لـهُ : ويحك . أَتريد ان تعوّد نفسك من اليوم أن لا تأكل الخبز الَّا بأُدم

قيل لرجل اشتكى عينيه : بماذا تداويهما . قال : بدعاء الوالدة أبقاها الله الكثيرة الصوم والعبادة . فقيل لهُ : منذ كم تشتكي عينيك . قال : منذ سنة . فقال لهُ صديق : احبّ ان تخلط مع دعاء الوالدة قليلًا من العنزروت فانهُ اسرع للاجابة

حُكي انَّ بعض الصوفيين حمل يوماً على رأسهِ حنطة وأتى بها طحَّانًا ليطحنها لعيالهِ . فقال لهُ الطحَّان : انا مشغول . فقال : اطحنها والَّا دعوتُ عليك وعلى حمارك ورحاك

فيبطل . قال : أوانت مُجاب الدعوة . قال : نعم . قال : فادعُ الله ان يصيّر حنطتك دقيقاً فهو انفع لك وأسلم لدينك

اجتاز بهلول بسوق البزّازين فرأى الناس اجتمعوا على باب ينظرون الى نُقب قد نُقب على بعضهم فاطّلع على النقب ثمّ قال : ويحكم ألا تعلمون ذا عمل مَن . قالوا : لا . قال : فاني اعلم مَن هو . فقال الناس : هذا بهلول يرى اللصوص بالليل ولا يتحاشونهُ فأنعموا لهُ القول لعلَّهُ يخبر بذلك . فسألوهُ ان يخبر . فقال : اني جائع فهاتوا اربعة ارطال رقاق ورأسين . فاحضروا لهُ ذلك واكل . فلمَّا استوفاه قال : اشتهي حُلوناً فاحضروا لهُ رطلين فالوذج فاكلهُ وفرغ منهُ وقام وتأمَّل . النقب ثمّ قال : اوَصحيح انكم لا تعلمون . قالوا : لا . قال : هو من عمل اللصوص . وعدا

ومن نوادر اشعب انَّ جارية اودعت عندهُ ديناراً فقال لها : دعيهِ تحت الفراش . فلمَّا مضت وضع معهُ درهم (درهماً) . ثمَّ جاءتهُ بعد ذلك وطلبت منهُ الدينار فقال لها : خذيهِ بيدك من موضع وضعتيهِ (وضعتِهِ) . فمدَّت يدها لتأخذهُ فوجدت معهُ درهم (درهماً) . فقالت : ما هذا . قال : يا جارية لا استحلُّ لك شيئاً هو دينارك ولد عندنا درهماً فخذيهِ وولدهُ وان تركتيهِ (تركتِهِ) فهو قد استأنس بالمكان ويلد كلَّ يوم درهم (درهماً) . فتركتهُ وذهبت فاخذهُ . فجاءت لهُ بعد ذلك تطلبهُ فتلقاها بالبكاء . فقالت لهُ : ما القضيَّة . قال : مات دينارك في النفاس . قالت : ويحك الدينار يموت ؟ قال : ويحكِ تصدّقين بالولادة ولا تصدّقين بالموت ؟

ويحكى انَّ بعضهم وقع من دابَّة فانصدعت رجلهُ فجعل الناس يدخلون عليهِ للسلام ويسألونهُ كيف وقعت . فلمَّا اكثروا عليهِ وضجر كتب قصَّتهُ في رقعة وطرحها بين يديهِ فكان اذا دخل عليهِ عابر وسألهُ عن سبب وقوعهِ دفع اليهِ القصة المكتوبة . فدخل عليهِ فيمن دخل بعد ذلك رجل فسألهُ عن حالهِ فاعطاهُ القصَّة فشرع يسألهُ فقال : انَّما كتبناها لاجل ترك الكلام . فجعل تلومهُ (يلومهُ) على عدم تحرُّزهِ عن الوقوع . فقال : حتى نستريح ها نحن نجيب عن هذه الاسئلة على الحاشية ودعنا من إلحاحك

عمل بعض النحويين كتاباً في التصغير واهداهُ الى رئيس كان يختلف اليهِ فنقَّص عطيتهُ . فصنَّف كتاباً في العطف واهداهُ اليهِ وكتب معهُ . رأيت باب التصغير واهديتهُ الى الرئيس فصغَّرني وارجو ان يعطفهُ عليَّ بابُ العطف

حدَّث يحيى بن علي السروري قال : كان للقالي اللغوي نسخة من الجمهرة بخط حسن فدعتهُ الحاجة الى بيعها فاشتراها الشريف المرتضي بستين دينارًا وتصفَّحها فوجد في اثنائها مكتوبًا بخط القالي

انستُ بها عشرين حولًا وبعتُها فقد طال وجدي بعدها وحنيني
وما كان عندي أنني سأبيعها ولو خلَّدتني في السجون ديوني
ولكن لضعف وافتقار وصبية صغار عليهم تستهلُّ عيوني
فقلتُ ولم املك سوى فيض عبرة مقالة مكويّ الفؤاد حزين
وقد تخرج الحاجاتُ يا امَّ مالكٍ كرائم من ربٍّ بهنَّ ضنينِ (كذا)

(قال) فامر الشريف المرتضي وكيلهُ بحمل النسخة الى القالي وابقاء الثمن لهُ

وحكى ابراهيم بن المهدي قال : قدم المأمون مدينة السلام من خراسان فأمن الناسَ غيري فتواريتُ واختليتُ اختلاء شديدًا فقالت لي عجوز من الازد وكانت تخدمني : سأحتال لك في ان يصل اليك مال. فركبت زورقًا فلمَّا جاءت المأمون في قصره صاحت : صاحبة نصيحة . فامر بها فأُدخلت عليه فقالت لهُ : ان دللتك يا امير المؤمنين على ابراهيم المهدي فما تجعل لي . قال : مائة الف درهم . قالت : وجّه معي رسولًا وادفع اليه الف دينار ومُرهُ ان يدفعها الي عند ما أُريه وجه ابراهيم فوجَّه المأمون حسين الخادم ودفع اليه الدنانير وامره بما قالت . فجاءت مع حسين الخادم حتى دخلت مسجدًا فيه صندوق فاتت بحمَّال فحملهُ فجعلت تطوف به في الاسواق والشطوط فمرَّةً يسمع صوت الباعة ومرَّة صوت الملَّاحين . فلمَّا اظلم الليل ادخلتهُ دارًا وفتحت عنهُ فاذا بمجلس عظيم في صدره ابراهيم بن المهدي يشرب وبين يديه جوار يغنِّين . فانكبَّ حسين على رجل ابراهيم يقبّلها فسألهُ ابراهيم عن المأمون وتناولت منهُ المرأة الدنانير . قال لهُ ابراهيم : كُل عندي لقمة واشرب عندي قدحًا وتحمل عني رسالة وامض محفوظًا . قال : أفعل . فقدَّم اليه طعامًا فأكل ثم سُقي شرابًا فيه بنج فشربهُ فسكر وأُدخل الصندوق وأُقفل عليه وحُمل حتى أُتي باب العامَّة . فلمَّا اصبح الناس رأوا الصندوق ليس معهُ احد فأنهوا خبرهُ الى صاحب الحرس فكتب الخبر الى المأمون فأحضر وفتح فاذا حسين الخادم مبنوت فعولج حتَّى افاق . فقال لهُ المأمون : رأيت ابراهيم قال : اي والله . قال : اين هو . قال : لا ادري . وحدَّثهُ بالقصَّة فقال المأمون : خُدعنا والله وذهب المال . قال ابراهيم : فتفرَّجتُ بالالف دينار مُديدةً

ديانة الكالا

للصيدلي القانوني الاديب عبدالله افندي ميخائيل رعد

٣ المظاهر الدينيَّة والاحتفالات الطقسيَّة (تابع)

قلنا بالبرهان ان الكالا ليسوا وثنيين والآن نأتي على ذكر ما عندهم من المظاهر والاحتفالات الدينيَّة . فقبل كل شيء نقول ان الكالا لا يبنون معابد لإلٰهم ولا لاوليائه وهم ينفرون من كل رسم يمثل ما ذُكر . فمعبدهم الدنيا على سعتها وسقفهُ القبة الزرقاء وهيكله سطح الارض . اما ضحاياهم فهي ابكار المواشي وتقادمهم محاصيل الزرع والعسل واللبن كما كان يفعل في البدء الآباء الاولون . فترى الجماعة منهم عند تقديم الذبيحة ملتئمين في ظل شجرة ينشدون التسابيح كالتي اتينا على ذكر بعضها فيما سبق ويسألون واكا في طلباتهم خصب الارض وغزارة المطر وكثرة المواشي ونمو الذرية ونحو ذلك ثم يرمون في الهواء الى الاقطار الاربعة شيئًا من الدقيق والسمن والعسل وغير ذلك ويذبحون الضحية فيهرقون ايضًا دمها رشًا الى الشرق والغرب والشمال والجنوب ثم يسلخونها ويأخذون منها قطعة يضعونها على صخرة قريبة عالية او على رأس شجرة فيأتي بازٌ او عقاب فيختطفها وهم يقولون ان هذا الطير يحملها الى واكا . ثم يتكئون جميعهم على الحضيض فيأكلون ما تبقَّى من التقدمة ويشربون ويرقصون وينشدون المسبّحات

ومن شهد هذه الاحتفالات خُيّل لهُ انهُ في عهد الآباء الاقدمين فان مظاهر هذا الشعب الدينيَّة تقرب كل القرب الى الممارسات الدينيَّة وتقديم الضحايا ونحوها التي كان يقوم بها ابناء الله من آدم الى بني اسرائيل قبل بناء هيكل اورشليم . أوما اخبرنا الكتاب الكريم ان الاوَّلين كانوا يقدمون لله اثمارًا واغنامًا وعجولًا بين الرقص وعزف الطبول والدفوف وبقيَّة ما كان عندهم من آلات الموسيقى وانهُ لم يكن لهم معبد . وانهم كانوا يبنون المذابح الوقتيَّة في البريَّة ليقدّموا عليها الذبائح ؟ تشهد على ذلك ارض كنعان وارض موآب وغيرهما التي قُدمت فيها الضحايا الذكية المقبولة . يشهد على ذلك الجبل الذي أخذ اليه الخليل ابنهُ اسحاق ليقدمه والوادي الذي رأى

نار السماء منحدرة اليهِ لتلتهم ضحية ايليا مع الحطب والماء حتى حجارة المذبح ؟ . . . وازيد على ما تقدّم ان الگالّا وان لم يكن لهم كتاب دوّنت فيهِ رُتب هذه الاحتفالات وطقوسها الّا انهم يُجرونها في كل القبائل والعشائر على تعدّدها وسعة البلاد التي تسكنها دائماً على منهج واحد . فيتناقل بالتقليد الابناء عن آبائهم كيفية الرتب ونظامها وادوار النشائد وانغامها والاقوال الحكمية وامثالها حتى السُّنن والقواعد والقوانين والعوائد البيتيَّة وما شاكل ذلك بنوع عجيب وصورة غريبة حتى قال عنهم المسيو انطوان دي ابَّادي الرحالة الشهير انهم « المحافظون الافريقيون »

*

اعظم احتفال عند الاورومو واكبر طقس ديني هو ما يدعونهُ « واداذجا » اي رتبة الاتحاد وهو اساس لبقيَّة الرتب وجوهر الطقوس الثانوية . وهذا الاحتفال يكون عندهم على ثلاثة انواع : عائلي وهو ما انحصر احتفالهُ في اسرة واحدة ولو ان هذه العائلة كان لديها بعض المدعوين زيادة عن اعضائها . ومحلّي اذا اشتركت بهِ عشيرة الجهة كلها . وعامّ اذا ضمّ اليهِ جمّاً غفيراً من عشائر وقبائل مختلفة

اولًا : الواداذجا العائلي — اذا قام اعضاء عائلة بهذا الاحتفال دعوا اليهم اقاربهم واصدقاءهم وجيرانهم واعدّوا للرتبة جعةً اهلية وبوزا وقهوة وخبزاً وشعيراً محمّصاً وذرة مطبوخة ولبناً وعسلًا وماء ودابَّة للضحية . واذا ازف وقت الاحتفال — ويكون عادةً من غروب الشمس الى الصباح وقد يدوم من ثلاثة ايام الى عشرة في الاعياد — اجتمع الناس واتكأوا داخل البيت اذا كان فصل الامطار وخارجهُ اذا كان الجوّ صافياً وأُبعدت الاولاد والشبان والصبايا غير المتزوجات ثم قام رب البيت بوظيفة محتفِل وامرأتهُ لخدمة الاحتفال وبدأ الجميع بالتسابيح والنشائد كالتي مرّت وفيما هم يرتلون كذلك تأخذ المرأة رغيفاً من الخبز وتتقدمهُ للرجل المحتفل وهذا يكسره من اربعة جوانبهِ على شكل صليب ثم يقطع منهُ اربعة اجزاء يرمي بها الى بعيد على الاقطار الاربعة وهي تتقدمهُ لواكا . واذ ذاك تغرف خادمة الاحتفال باناء خشبي او حديدي او مصنوع من قرون الوحوش او من العاج — كحسب حال العائلة المحتفلة من الفقر او الغنى — من القِدر لبناً وتناولهُ للمحتفِل فيقدمه كذلك الى واكا رشّاً نحو الاربعة الاقطار وهكذا يعمل هذا الرش بالماء والعسل والقهوة والبوزا والجعة والطبيخ والشعير

المحتّص . ثم ينتصب المحتفِل والخادمة على اقدامهما فيُباشر بالطلبات . وها كم ترجمة واحدة منها . اما الجمع فيبقى متكأً على الحضيض :

يقول المحتفل:	يا واكا ارحمنا	فيجيبه الجمع المكثون بصوت واحد :	نعم نعم ارحمنا
〃	يا واكا باركنا	〃	نعم نعم باركنا
〃 〃	اعطنا اياماً سعيدة	〃	〃 اياماً سعيدة
〃 〃	اعطنا ليالي سعيدة	〃	〃 ليالي سعيدة
〃 〃	أبعد عنا الشرور	〃	〃 أبعد
〃 〃	أوحِنا في محادثاتنا	〃	〃 أوحنا
〃 〃	أنرنا في مشوراتنا	〃	〃 أنِرنا
〃 〃	أرجع الابن العاصي الى ابيه	〃	〃 أرجِعهُ
〃 〃	أرجع الابن العقوق الى امه	〃	〃 ارجعهُ
〃 〃	اكشف للوالدين معاصي اولادهم المكتومة	〃	〃 اكشف
〃 〃	ابعد عنا عمل الاثم	〃	〃 ابعد
〃 〃	اعطِ بقرًا لعمّال الخير	〃	〃 اعطِ
〃 〃	افعمنا من خيراتك	〃	〃 افعمنا
〃 〃	ابعد العين الشريرة عن مواشينا وعسلنا	〃	〃 ابعد
〃 〃	احفظ بيوتنا من الخراب	〃	〃 احفظ
〃 〃	اعطنا الخلاص	〃	〃 اعطنا الخلاص

وغير ذلك من الادعية التي يطول ذكرها

وبعد نهاية هذه الطلبات يقدمون الذبيحة على الصورة التي ألمعنا اليها فويق هذا . اما الحيوان الذي يضحّونهُ فيكون عادةً كبشاً او عنزةً او عجلًا على حسب اقتدار العائلة وربما ضحّوا في الاعياد حيوانين الى العشرة في احتفال واحد . واذ تكون الضحية قدّمت يسمحون بدخول الاولاد والشبان لاخذ البركة وتكون عندهم بوضع يد المحتفل على رؤوسهم وبالنفخ عليهم وربما اخرج اللعاب مع النفَس المضغوط . ثم يتكئ الجمع حول السفرة فيوزع عليهم المحتفل بمساعدة خادمة الاحتفال الاكل والشرب مباشرةً بالشيوخ الى ان ينتهي الطعام الى الغلمان فيأكلون ويشربون ويرقصون ويسبحون الى الصباح

وبهذا الاحتفال العائلي الذي يتكرَّر عندهم مرات كثيرة في السنة اربع فوائد : فهو يحفظ بين هاته الاقوام الامانة في عبادة الخالق غير منثلمة . ويجعل اتحاد اعضاء

العائلة مع بعضهم غير منفصل . ويعلّم الاولاد ان يكرّموا والديهم ويحترموا الشيوخ . ويقي الاقارب والجيران والاصدقاء من الخصام ويعلمهم الالفة والمحبة

ثانياً : الوادادجا المحلي — هو الاحتفال الذي يلتئم فيه اهل العشيرة كلها ألّا ان المحتفل يكون هذه المرة كاهناً اذ لكل عشيرة كاهن يدعونهُ «كالو» اي المضحي او «إرنيا» اي المكرّس . وعندهُ تلامذة يخدمون في الاحتفالات كلاويّين وقد يدعونهم الى الوادادجا العائلي ليكونوا هم المحتفلين بدل رب البيت وامرأته ألّا ان ذلك نادر . ولكن وجودهم ضربة لازب في الوادادجا المحلي الذي يتم على ذات الصورة التي يتم عليها الاحتفال العائلي . فاذا ازف الوقت المضروب جاء الكاهن وذووه وباصبعه خاتم كبير من نحاس وعلى رأسه طارات من النحاس ودوائر من العاج على شكل الاكاليل تغطي جبهته كلّها من الحواجب الى حد شعر الناصية . وبيده سوط . وبعنقه قلائد من خرز وعاج ونحاس وحديد وغير ذلك . وبمعصميه اساور اما ذُكر . وبعضهم يزيدون الى هذه القلادة جرساً صغيراً وهم الذين قتلوا في زمانهم اسداً او اتوا عملاً ما خطيراً في بعض الحروب او الغزوات وهذه العلامة الفارقة لا تختص بالكهنة فقط بل هي شارة يحملها كل من اتى هذه الافعال المحسودة . ثم يتصدَّر هذا المحتفل وذووهُ في مقدّمة علية القوم ويأخذ قبل بداية الاحتفال ان يشمخ بانفه ويقصّ على مسامع القوم ما يكون قد حفظهُ من الخرافات والاحاديث المستهجنة والمعجزات التي يزعم انها جرت على يده ويعمل حركات وطلسمات كما كان يفعل كهنة البعل في سالف الزمان وذلك ليستدرّ عليه تقادم الشعب من مواشي وعسل وسمن وغير ذلك . امّا هولاء الكهنة فليس لهم خارج الاحتفالات الدينيّة من اهمية مدنية تُذكر في العشائر بين شيوخ الشعب اللهمّ ألّا ان يكونوا من ذوي قربى عظيم كهنة الكالا الذي يدعونهُ «أبا موردا» اي ابا المسحة . او ان يكونوا رسله . وعند تقديم الضحايا في مثل هذا الاحتفال يأخذ تلامذة الكاهن دم الذبائح وبعد ان يكونوا رشّوا منهُ على الارض الى اربعة الاقطار يضعون منهُ على جباهتم اولاً ثم يمسحون به جباه الحاضرين ويلطخون به ابواب البيوت . ثم يأخذون الجلود والامعاء ويقطعونها قطعاً رفيعة مستطيلة يطوّقون بها اعناقهم واعناق الناس وهم يعتبرونها كطلاسم تردّ عنهم العين الشريرة

ونضحهم هذا لدم الضحايا على الارض التي يعتبرونها هيكلاً عظيماً لواكا وعلى ابواب البيوت عادة قديمة يذكر الكتاب الكريم انها كانت مستعملة في الاعصر السالفة فانهُ تعالى امر اسرائيل وبنيه ان ينضحوا حجارة الهيكل بدم الذبائح • وعند ما اكلوا ضحية الفصح في مصر قبل خروجهم امرهم جلَّ اسمهُ ان يلطخوا بالدم عتبات الابواب • وغير ذلك كثير من الشواهد • وهذا امرٌ معقول ان لحظنا ان الدم اعظم عنصر واشرفه واثمنه بين عناصر الطبيعة فهو محور المواليد الحيوانية ومقام الحياة وجوهر الشهوات والآلام • فاي شيء اذاً اثمن من الدم في الذبيحة ليقدَّم الى الله ؟ • أما ان الدم على ما علمتنا اياه الكنيسة المقدسة مرحَض خلاصي يتقي الانسان في الاستشهاد من كل جرائمه ؟ وباي شيء اشترانا مخلصنا يسوع المسيح من لعنة الشيطان لمَّا ضحَّى نفسهُ لابيه ذبيحةً الهيةً من اجلنا على خشبة العار التي اصبح شكلها بعد ذلك علامة الفخر؟ اليس انهُ افتدانا بدمهِ الزكي الثمين ؟ • فلا عجب اذاً اذا رأينا الشعوب من آدم الى اليوم يقدمون لله بنوع اخصّ دم الضحية التي يقربونها لعبادته

واما اكلهم لحوم هذه الضحايا فاسمع ما يقولون فيه : « اذا اكلنا لحم الضحية التي تقدم دمها وجزءًا من لحمها الى واكا فاننا نشعر داخلياً بولوج روح قوة غير اعتيادية وهذه الروح تحركنا وتشجعنا وتملأنا ثقةً بواكا واذ نكون قد أفعمنا سروراً تندفع حينئذٍ في الغناء والرقص » • فمن سمع هذا الكلام لاول وهلة عن غير تبصُّر لا يتمالك عن التبسّم لا بل ومن الضحك بقهقهة ايضاً على ما ينسبهُ هذا الشعب الساذج لاكل لحم الضحايا • ولكنهُ لو تأمل في هذه العادة وفكَّر في مكنونها قليلاً لما وجب ان يضحك وفيها بعض الشبه بسرّ القربان الاقدس الذي يغتذي بـه النصارى ليحيوا في نفوسهم قوَّة النعمـة فكذلك يزعم هؤلاء أنَّ اكل الضحايا المقدَّمة لواكا تحييهم وتشدّدهم

(لهُ تابع)

الآنية الصينيَّة والخزفيَّة في البلاد الشرقية

للاب لويس شيخو اليسوعي

بين الاجسام التي تراها متوفّرة في الطبيعة الصلصالُ وملحقاتهُ ويتركَّب الصلصال من سليكات الألومين وهي مادَّة بيضاء دقيقة ناعمة يصعبُ تذويبها واذا كان الصلصال مدوفاً بالماء صار شبه العجين متلاصقاً ليِّناً كثير المرونة يسهل شغلهُ ومنهُ تُصطنَع الآنية الخزفيَّة باصنافها . على انَّ الصلصال وحدهُ اذا شُوِي بالنار تقلَّص وحدثت فيهِ شقوق وفنوع تُفضي الى كسر الآنية لولا خلطهُ بموادَّ أُخرى كالرمل والصوَّان والطباشير وسلفات الكلس وغير ذلك ممَّا يزيدهُ صلابةً ويجعلهُ في الوقت عينهِ اصعب شغلاً واكثر نخوراً

والخزفيَّات تُطلى عادةً بغشاء او مدهون يمنع ارتشاح الموائع منها ويصقلها في الخارج صقلاً حسناً . ويكون هذا الطلاء امَّا خالياً من الالوان شفَّافاً يتخذ للآنية الناعمة او سميكاً ملوَّناً للخزفيَّات العاديَّة

وقد اشتهر بين الخزفيَّات نوعان : الخزف الصينيّ والخزف المطليّ . فالخزف الصينيّ يتألف من صلصال غاية في النعومة اذا أُعملت فيهِ النار اثَّرت في تركيبهِ حتى اكتسب بعض خواصّ الزجاج . امَّا الخزف المطليّ فانَّهُ المعروف ببلادنا بالقاشاني وهو يصبغ بالالوان الزاهية

واصل صناعة الصينيَّات والقاشاني كليهما من الشرق قد ذهب الصينيُّون الى انَّهم سبقوا الشعوب الى اتّخاذ الآنية الصينيَّة الفي سنة قبل المسيح لكنَّ المؤرخين الأثبات منهم يعيِّنون لاختراع هذه الصناعة اوَّل عهد دولة « هان » التي ملكت السنة ٢٠٦ قبل المسيح ثمَّ اخذت هذه الصناعة في التحسُّن الى ان بلغت اوج كمالها في القرن الخامس عشر في ايّام الملك تشين هوانغ (١٤٦٥—١٤٨٨) والآنيات المصطنعة في ذلك العصر يتناخر بها الى الآن اصحاب الثروة وتُباع باسعار غالية ثمَّ تقهقرت تلك الصنعة مدَّة وعادت الى زهوها في القرن السابع عشر ثمَّ أُهملت بعد ذلك وكسدت سوقها

وكان البنادقة قد نقلوا الى ايطالية في القرن الرابع عشر قطعاً من الآنية الصينيَّة

تاجروا بها بين مواطنيهم فسعى كثيرون بتقليدها منهم صَنَعة مدينة فلورنسة تمكّنوا من اصطناع اصناف من الخزفيّات كانت شفّافة تشبه نوعاً آنية الزجاج . وكذلك الفرنسويون في القرن السابع عشر توصّلوا الى اختراع ما عُرف بالصينيّات الليّنة كانوا يتّخذونها من موادّ قلويّة يزجونها بالرمل والصوّان . وقد اشتهر في ذلك معمل سيڤر في باريس ومصنوعاتهُ لا تزال حتى يومنا هذا معدودةً من اتمّ واجمل الآثار الصناعيّة

لكنّ هذه الاكتشافات مع حسنها وخواصّها الممتازة لم تبلغ في بهائها ورونقها الآنية المصطنعة في الصين لأنّ الاوربيين لم يعرفوا الصلصال الابيض الذي كان يدخل في تركيبها . وهذا الصلصال المسمّى كاولين وُجد لاوّل مرّة في المانية سنة ١٧٠٩ فشاع بعد قليل في المانية والنمسة وأُنشئت معامل عديدة لاصطناع الصينيّات . ثم ظهرت في فرنسة عدّة مناجم من الكاولين فجارى الفرنسويون الالمانيين وغلبوهم في بهاء مصنوعاتهم وبقي لهم السبق حتى أيامنا هذه كما تشهد على ذلك معامل ليموج وبورج وباريس وشهرتها بالغة سواء كانت من جنس الصينيّات البيضاء او من الضروب المطليّة الملوّنة او من الانواع الفاخرة المزيّنة بالنقوش . وقد صدر منها في السنة ١٩٠٣ الى خارج فرنسة ما يساوي ٢٢,٤٢٦,١١٤ فرنكاً

وعُرفت المصنوعات الصينيّة في انحاء الشرق قبل شيوعها في بلاد الغرب فانّ اليابانيين اخذوها من الصينيين واحرزوا لهم في اصطناعها اسماً طيّباً . وكذلك اهل العجم فانّهم عُرفوا في كلّ الازمنة بحذقهم وتقدّمهم في الاعمال الصناعيّة فصرفوا عنايتهم الى تقلّد الصينيّ فبلغوا من ذلك الغاية حتى انّ الرحّالة الفرنسويّ شردين (Chardin: *Voyages en Perse*, VIII, 94) وجد في القرن السابع عشر في اسواق اصبهان من الصينيّ المصنوع في مدينتي كرمان ومناجرد ما لا يفرزهُ النظر عن الصينيّ المبيع في الصين وفي اليابان حتى ان تجّار هولندة كانوا يبيعون آنيتهم بصفة الصينيّ الصحيح . لكنّنا لا نعلم اكان يدخل في تركيب مصنوعات العجم فخّار الكاولين كما في الصين . وكان الصينيّون انفسهم يحافظون على سرّ تركيب الصينيّ اشدّ المحافظة ضنّاً بارباحه وكانت صناعتهُ منحصرة في بعض حواضر الصين قال ابن بطوطة في رحلته (طبعة باريس ٤ : ٢٥٦) : امّا الفخّار الصينيّ فلا يُصنع منهُ الّا بمدينة الزيتون وفي صينكلان وهو من تراب جبال هناك تقد فيها النار كالفحم . ويضيفون اليه حجارة عندهم

(يريد حجارة الفلدسپات والكوارتز) ويوقدون النار عليها ثلاثة ايام ثمَّ يصبُّون عليها الماء فيعود الجميع تراباً ثمَّ يُخمّرونهُ فالجيد منهُ ما خُمر شهراً كاملاً ولا يُزاد على ذلك والدون ما خُمّر عشرة أيام وهو هنالك بقيمة الفخّار ببلادنا او ارخص ثمناً ويُحمل الى الهند وسائر الاقاليم حتى يصل الى بلادنا بالمغرب وهو ابدع انواع الفخّار »

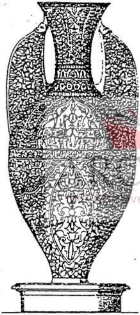
هذا ومن العجم انتشرت صناعة الصيني في البلاد المجاورة ٠ وممَّن عاناها اهل بغداد واهل دمشق ٠ وكان لاهل مدينة ازنيق وهي نيقية القديمة في بيثينية قدم متقدمة وشهرة متمددة في صُنع الآنية الصينيَّة وكان بعضهم في دار السلطنة يشتغلون بعملها منذ القرن السادس عشر وكانوا يُدعَون « چين فروشانى » اي صَنَمة الصيني

*

وان اعتبرنا الآن الخزفيات الملوَّنة التي تُعرف بالقاشاني وجدناها على صنفين: صنف منها بسيط يتركَّب من الفخّار المختلط بالحديد اذا شُوي احمرَّ وهو يُطلى بمركَّب قصديري ابيض سميك وصنف فاخر يُصطنع من موادَّ انقى وانعم اذا شُوي ابيضَّ وكان صالحاً لأَن يُصبغ بدُهون شفَّافة واصل هذه الخزفيات الطليَّة متوغّل في القدم فأن الاثريين قد وجدوا في حفريات بابل ونينوى وشوشن قطعاً من هذا الفخّار المنقوش ترتقي الى نحو الفي سنة قبل المسيح وهي اليوم تزين متاحف باريس ولندن ٠ وفي متحف الاستانة العليَّة ناووس بابلي من الخزف مطلي بطلاء خضراء

وقد عرف اليونان والرومان الخزفيات الملوَّنة كما يظهر من الآثار المكتشفة في مدن ايطالية وفي الحواضر اليونانيَّة الَّا انَّ هذه الصناعة توارت في الغرب مع ظهور قبائل الشمال وغزوات البرابرة فلم يبقَ منها الَّا بعض البقايا التي لا تتجاوز الآنية البيتيَّة الخالية من كلّ تأنّق حتى حصلت نهضة الآداب والصنائع في القرن الرابع عشر فسبق اهل الاندلس الى تلوين الخزفيات ونقشها ودهنها بالدهون الميناويَّة وكان لهم في سنة ١٣٥٠ معامل كثيرة منها معمل مالقة وصفهُ ابن بطوطة لمَّا رحل اليها من طنجة ثم امتدَّ هذا الفنّ الى ايطالية ونشَّطهُ الاحبار الرومانيُّون في رومية العظمى واشتهرت في اصطناع الخزفيات البديعة الاشكال مدينة فاينزة حتى عُرفت تلك المصنوعات باسمها فدُعيت فاينسة (faïences) ولم يلبث الفرنسيُّون ان يجاروا اهل ايطالية في الاعمال الفخّاريَّة الملوَّنة فبرَّزوا باصطناعها واخترعوا تركيبات جديدة رقَّت هذه الصناعة

ترقية عظيمة في القرنين السابع عشر والثامن عشر فزُينت بمصنوعاتها الكنائس والقصور. ولو اردنا وصف ما خرج من معمل مدينة روان وحدها لاقتضى الامر مجلّدات واسعة وصار لهذه المدينة من الشهرة ما أنست غيرها من المدن بخزفيّاتها التي كان يسعى بتقليدها الكثيرون. واجتهد ايضاً الالمان والانكليز في مباراة الفرنسويين فاصابوا بعض النجاح



اناء من الخزف الملوَّن وجد في قصر الحمراء

على انَّ الشرق قد امتاز في تلوين الخزفيّات في كلّ عصر فكأنَّ البابليين اورثوا هذه الصناعة اهل العجم الذين افرغوا في تحسينها كنانة الجهد وقد خلَّفوا لنا من الاعمال والابنية المحلاة بهذه المصنوعات الغريبة البديعة الالوان والجميلة النقوش. واصابت مدينة قاشان قصبة السبق في ذلك ومنها اشتق العرب اسم القاشاني للأعمال الخزفيّة الزاهية

وكان اهل الشام من الروم يتقنون شغل الفخّار ونقشه وتلوينه ومن آثارهم الجامع الاموي في دمشق والمسجد الاقصى في القدس الشريف فانَّ ما يزينهما من قطع القاشاني المزخرفة الناصعة الالوان يشهد لصَنَعة ذلك العهد بالمهارة في العمل. وقد اشتهر في سوريّة مدينتا دمشق وحلب بحسن شغل اهلهما للفخّار وتزيينه بالنقوش وتلوينه. لكنَّ تيمورلنك في غرَّة القرن الخامس عشر اضرَّ بتلك الصناعة لمَّا اخذ معهُ عملة الفيحاء ليستخدمهم في اعماله

وكذلك في جوامع مصر ومعاهدها العربيَّة كثير من المصنوعات الخزفيَّة المنقوشة يرتقي بعضها الى القرون المتوسّطة

وللدولة العثمانيَّة الايادي البيض في ترقية هذا الفن الجميل فان السلطان الغازي محمَّد الثاني لمَّا فتح القسطنطينيَّة استجاب من فارس قوماً من الصنَّاع زيَّنوا بلاطهُ المعروف بالسراية القديمة بضروب الخزفيَّات الملوَّنة . ولمَّا انتهوا من العمل سكنوا رودس وتفنَّنوا في اصطناع خزفيَّات نفيسة تُباع حتى اليوم باثمان غالية . وقد انشأ السلطان عينهُ في ازنيق (نيقية) معملاً للقاشاني اتَّخذت مصنوعاتهُ لنقش جوامع الاستانة العليَّة . ثمَّ صار التقدُّم بعد ازنيق لمدينة كوتاهية في ولاية بروسَّة وكان صنَّاعها الخزفيُّون من ذوي الخبرة والذوق راجت اعمالهم في انحاء الشرق في القرن السابع عشر وساعدهم على اتقانها وجود منجم من الكاولين في جوار المدينة وكانوا يصطنعون القطع الجميلة الملوَّنة باشكال الزهور والاغصان مع ضروب الاصباغ والالوان فيركّبونها تركيباً عجيباً يأخذ بمجامع القلوب ويفتن الابصار وما يُرى منها اليوم في معاهد الاستانة يزورهُ الزوَّار ويقضون منهُ العجب . ومعامل كوتاهية بقيت الى زماننا وقد عرض اصحابها امثلة من خزفيَّاتهم في معرضي باريس (سنة ١٨٦٧) وثينَّة (١٨٧٣) ونالوا عليها الامتيازات الفاخرة . وممَّن سعوا في توسيع نطاق هذه المعامل وتجهيزها بالادوات الحديدية وانماء مصنوعاتها صاحب العزَّة حمدي بك مدير المتحف الهمايوني . وقد أنشأ في دار الخلافة العظمى معملاً تصطنع فيهِ آنية خزفيَّة ملوَّنة بالوان زاهية وهي تركَّب من ارض رمليَّة . وكذلك في حي أيوب عند قرن الذهب معامل خزفيَّة تُطلى بطلاء ابيض سميك ثمَّ تُلصق عليها الاوراق الملوَّنة فترتسم عليها نقوشها

وقد عُرفت ايضاً مدينة «جناق قلعة» عند مدخل الدردنيل بخزفيَّاتها الملوَّنة كانوا يصطنعون منها آنيةً على اشكال غريبة فيذهّبون بعض اقسامها ويصبغونها بالالوان الناصعة لكن هذه المصنوعات قد قلَّت اليوم وكادت تبطل

وللعجم في عهدنا كما في الزمن القديم نشاط عظيم وهمَّة مشكورة في استحضار القاشاني والخزفيَّات المنقوشة لكنَّهم عدلوا الى الصناعة الحديثة لكثرة رواجها وان كانت المصنوعات القديمة اعظم شأناً واغلى ثمناً . وفي اسواق الاستانة ما لا يُحصى من اعمالهم الفخَّاريَّة الملوَّنة . ومعدَّل ما يدخل من الصينيّ والخزفيَّات من اوربَّة الى الممالك المحروسة في السنة نحو ١٤٠٠٠ صندوق تباع بثمن ١١,٠٠٠,٠٠٠ غرش وفي الختام نتمنَّى ان يعود اهل الشام الى فتح معامل للخزفيَّات والصيني ايضاً فيحيوا هذه الصنعة

التي فاز اجدادهم فيها بشهرة مستفيضة فلا شك أنهم اذا تعاطوها زاحموا فيها من سواهم ببراعتهم وجودة عملهم ان شاء الله

الخُلق والمشيئة

للدكتور حبيب افندي الدرعوني

رأينا ان ننقل لقرّاء المشرق فصلًا موضوعه الخُلق والمشيئة من كتاب حديث للسيو بول دومر رئيس مجلس نواب فرنسا سابقًا سمّاه «كتاب اولادي» (١)

امّا الكتاب فغنيٌّ عن الوصف بما حازه من الشهرة في عالم المطبوعات فلم تبقَ جريدةٌ الّا ونقدتهُ واما الفصل الذي انتخبناه ففي سرده مثالٌ عمّا جاء في هذا السفر الجليل من النصائح الاجتماعية السامية وفي موضوعه امثولة يجدر بالمرء تعلّمها ويسهل عليه تشرّبها اذ يُستشفُّ من خلالها ان المؤلف يتكلم عن اختبار وحُنكة وخيرُ نصيح من كان متصفًا بالسجايا التي يأمر بها وبعيدًا عن المعايب التي يصرف غيرهُ عنها ولا قول انجع في قلب الانسان من قول يقرنهُ صاحبه بعمل. ومؤلف كتاب اولادي ممّن عُرفوا بقوّة المشيئة وثبات العزيمة وبهما ارتفع من حضيض الفقر الى ذروة المجد

ويجدر بنا قبل نقل كلام دومر ان نأتي بشيءٍ عن الخلق في حدّهِ وتعريفهِ فنقول: ان النفس البشريَّة بسيطةٌ في تركيبها غير ان لها صفات وحالات تختلف باختلاف الاشخاص. وهي كيفيّات نفسانيَّة مبنيَّة على قوَّة الفكر وقوة الاجسام وقوَّة العمل ويتكوّن هذه القوى متفاوتةً في درجتها متباينةً في تصويب عزمها وقد تكون في الاحداث استعدادات خلقيَّة مختصَّة بهم غير انها تنمو وترتقي تبعًا للوسط ولاحوال الحياة او بمجرَّد اميال ذلك الولد وقوَّة مشيئتهِ وهي تختلف بالكم والكيف. فيتولَّد من مجموع تلك الاختلافات الناتجة من الاستعداد الفطري او الميل او العادة

(١) (Paul Doumer: *Livre de mes Fils*.)

ما يُعبَّر عنه بالخُلق او الطبع . والطبع اشبه بطابع يمثل خواص الشخص الادبيَّة فيمتاز به عن اقرانه وقوامهُ وجود استعدادات غريزيَّة تكون في الانسان تسوق به الى العمل وينقاد اليها غالبًا بحيث انك لو عرفت خُلق رجل ادركت سلفًا كيف يتصرف في ظروف معلومة

وقد يكون بين هذه الاستعدادات وراثيةً كانت او مكتسبة سماتٌ شخصيَّة يُعرف بها الانسان وتستلفت البصائر ببروزها ووضوحها كأني بها ملامح الاخلاق تدعى بالخلال او بالملكات وتتسلَّط على صاحبها . ويقسم البعض اصحاب الاخلاق الى ثلثة اقسام : الاخلاق المتعقّلة والاخلاق المنقادة الى الاهواء والاخلاق الأمَّارة . وذلك حسبما يغلب على الخلق حكم العقل او حكم المحسوسات او حكم المشيئة . وان اعتبرنا العقل النظري فعلاقتهُ مع الخلق ضعيفة فانَّنا نرى ان المعارف المكتسبة لا تؤثر في الانسان تأثيرًا يُذكر ما لم يكن اعتاد ان يحكّم في سلوكه العقل العمليّ فينقاد الى مبادئه والى نصائح الفهم . وعلى خلاف ذلك الاحساسات والعواطف فانَّ عملها في الخُلق قويّ شديد . وهذه الاحساسات والعواطف مرتبطة بالمشيئة ارتباطًا وثيقًا فان كانت المشيئة ضعيفةً غلبتها الاهواء والاحساسات وان كانت شديدةً تابعة لرأي العقل والحكم الصواب ضبطت عنان العواطف والاحساسات واستعانت بها لادراك غايتها بعزمها وثباتها وهذا الامر أضحى في غاية الوضوح حتى ان الخُلق او الطبع صار مرادفًا في المعنى للعزيمة وقوَّة الارادة وذلك في لغة الشعوب الراقية التي اهتمَّت في تهذيب اخلاقها . فاذا قيل بالافرنسية فلان صاحب طبع او فلان شديد الخلق يكون المراد من هذا التعبير انهُ صاحب عزم وثبات ورباطة جاش

وقد تكون رباطة الجاش مضرَّةً اذا لم تلطّفها الشفقة ويعضدها الانصاف غير انها خلَّة كريمة ومزيَّة طيبة لان العزيمة والارادة هما اساس القوَّة الادبيَّة والشرط الاول لوجودها . ومن المعلوم ان المشيئة القويَّة تسعى من طبعها وراء الاعمال الخطيرة وبضد ذلك الرجل الصغير النفس الضعيف الحزم فلا تتمّ مقاصده ولا تقوم عزائمه بل يكون دائمًا مترددًا حائرًا وعليه يصدق قول القائل : اقبح الطباع حيث لا طباع . واليك الان اقوال دوس في هذا الباب

« تعلَّم كيف تريد واعمل المتوجب عليك . تلك خلاصة شتات القواعـد التي يُقتضى نشرها لتدبير المعيشة . اعمل ما يتوجب عليك وكن في كل أمر وفي كل آنٍ رجل الواجب تلك رأس الوصايا والخطَّة الادبيَّة التي ينبغي السير عليها . غير ان الرغبة في القيام بمقتضى تلك الوصيَّة لا تكفي ان لم يكن المرء متحفزًا للعمل . ومن ثمَّ عليه ان يتدرَّع بالمشيئة والعزيمة ويقبض على قياد نفسهِ بيدهِ وهذه هي نقطة الإشكال واذ ذاك فعلى الشاب المرشح لاحتمال اثقال الوجود والقيام باعباء ما سيلقيهِ على كاهلهِ من المسئوليات ان يسود على نفسهِ ويأمر عليها ويحكم فيها ويتسلَّط التسلُّط المطلق على حركاتهِ وسكناتهِ

من كان مالكًا نفسه امكنه ان يكون رجل خير وصلاح ومن كان قائدًا لحياتهِ امكنه ان يجعلها سعيدة . ولكن كيف السبيل الى امتلاك النفس على الدوام وهو امرٌ يكون في البدء صعب المراس وتستدعي ممارستهُ جهدًا جهيدًا ؟ كيف نصد النفس الامَّارة او كيف نقاوم الدواعي والبواعث التي تحدق بالانسان ؟ كيف نظفر بتلك الاميال التي تؤدي بالعقل الى الخمول او كيف نقوى على الاهواء الطبيعيَّة وقد يلذّ للانسان اتباعها وتحقيق رغائبها اذا لم يقدر سوء عقباها ؟ الجواب انَّ ذلك يتمّ بترويض المشيئة وتمرينها فيصبح سهلًا بديهيًّا

يمثل لنا الشاعر كورنايل في رواية « سنًّا » قيصر الروماني تجاه زمرة ندمائهِ بعد ان اساؤوا اليهِ الصنع فاذا بهِ يردّ حنقه ويردع غيظه ويلوي رغبته عن اخذ الثار حتى تمكَّن من نفسهِ في كبح ثوران تلك الاهواء واطلاق العنان لعواطف القلب ومواعظ العقل . نعم ان مثل هذا الصراع كان لا ريب عنيفًا الَّا ان القيصر خرج منهُ ظافرًا واخذ يفاخر بانهُ غلب على العالم وعلى نفسهِ حيث انشد :

غلبتُ الكون طرًّا مثل نفسي فهذي رغبتي وكذا مقامي

ولكن لا يدري معنى هذا الصراع النفساني من كان اسير اهوائهِ لا عزم لهُ ولا سطوة على نفسهِ بل اذا اعترضتهُ الاهواء يتبعها واذا جذبتهُ الشهوات مهما كانت خفيفةً تزلُّ قدمهُ على منحدرها ويهوي في مهاويها بلا مقاومة ولا دفاع

اما هذه الحال التي شهدناها في هذا القيصر فهي من الاحوال التي تحدث كثيرًا في صغائر الامور وكبائرها لكل الاشخاص الذين ليسوا بألعوبة عمياء بين يدي شهواتهم

ومن هؤلاء كثيرون من يضطرون للكفاح مع انفسهم فيكون كفاحهم شديدًا قلّما يخرجون منهُ فائزين اما رجل العزيمة الذي ألف الامرة على نفسهِ فانهُ ينال الفوز العاجل السهل ومع مرور الزمان وائتلاف هذه العادة الحميدة يفضي بهِ الامر بلا مراء الى تقرير ساطة العقل والحكم على نفسه . قال الفيلسوف سنيكا : ان شئت ان تصير رئيسًا على غيرك دع العقل يتسلط عليك . او بعبارة اخرى مترجمة بلسان العصر افضل انسان لتدبير اقرانهِ من كان متسلطًا على نفسهِ كل التسلُّط وكان العقل وليّ اعمالهِ . فينتج ممَّا تقدَّم ان الشرط في السيادة هو نفس ما اشترطنا لاستجماع الصلاح والسعادة

افلا يجدر بنا بعد ذلك ان نقوى على انفسنا لاستيفاء هذا الشرط ونضحّي في مدّة الشباب كثيرًا من اللذات الدنيئة حتى نتوصَّل الى امتلاك انفسنا اي تذليلها بقوة المشيئة لحكم العقل ؟

وصف الفلاسفة المشيئة قوَّةً رئيسيَّة في الانسان لا ندَّ لها في مقامها وقدرها الّا العقل الذي يحكم على الافكار . ودون العقل والمشيئة الاحساس الذي يرأس على الشواعر والعواطف والشهوات . وليس فقط الفلسفة بل الحس العام يوافق الفلسفة على جعل مشيئة الانسان في مقدَّمة القوى العقليّة والصفات الانسانيَّة الجديرة ان تسمَّى كذلك

ولا غرو ان المشيئة العامة اذا ثابرت على عملها تقدر على كلّ شيء في الدائرة الادبيَّة كما انها تنال كثيرًا في دائرة المادّيات

صاحب هذه القوَّة وحدهُ يكون في الحقيقة طوع نفسه ووليّ ارائهِ واعمالهِ . يدير افكاره واحساساته حتى مخيّلته ايضًا ويذلّل كل ما لهُ لسلطة العقل فيأتمر بامرهِ ويزدجر بزجرهِ حسب ايعاز الضمير ويصبح اهلًا لتدبير معيشته بمقتضى قوانين الحكمة

بفعل العزم الثابت يقوى الانسان على تجنب المخارم وكبح الاميال المنحرفة وما تنطوي عليهِ من الشرور والاخطار اذ لا يعدل الّا الى المساعي الكريمة الشريفة ويعرض عن الهوى بلا تردّد لان الهوى ابن الضعف ولا يصيخ الى العواطف الّا فيما لا يعاكس الواجب

من رام ان يكون رجلًا صالحًا وصاحب فضل اكيد عليهِ بعزم من حديد ومن

حصل على مثل هذه الارادة أُتيح لهُ ان يطمح بانظارهِ الى الكمال ايًا كان مزاجه وهما كانت امياله

لا بدَّ لنا في ماجريات الحياة ولدى القيام بالاعمال العديدة التي نعملها كل يوم من قوانين وقواعد راسخة في عقولنا لكي نطبق تلك الاعمال عليها بلا نظر او تردد فيها بل بمجرد انتباه المشيئة واشارتها . واهميَّة ذلك معلومة لا حاجة لايضاحها لان مدار معيشتنا على هذه الاعمال اليومية بل هي كلحمة بُرْدها . مثال ذلك : يعلم الانسان اضرار المسكرات واخطار التدخين فيترك هذا ويقلع عن تلك

ان الدواعي والمصاعب التي تحول دون مقاصدك النبيلة لكثيرة وعديدة فينبغي لمشيئتك ان تدفعها بعزم شديد بحيث انك اذا روَّضتها كل يوم في هذه الصغائر يمكنك استخدامها بثمرة عند ما تعترضك كبائر الامور

وليس هذا فقط بل حتى في الاعمال التافهة ينبغي لك ان تقاوم رغبة النفس فيها وان تكن تلك الرغبة الى شيء جائز حلال . دونك لذلك مثلًا فافترض انك رجل علم او صاحب قلم منكبًا بكل اجتهادٍ على شغلك وانت تعلم اي فائدةٍ من الرياضة للصحة واعتدال البدن . فبعد ان تكون قضيت سحابة يوم كامل في عمل متعب واشغلت افكارك واجهدت عقلك تشعر بحاجة للراحة فيتجاذبك داعيان امَّا القعود في مخدعك مرتاحًا او الذهاب الى اجتماع او لهو ليس منهُ كبير نفع لعضلات بدنك . فعندئذٍ ربَّما ترتاح الى داعي اللهو لما فيه من اللذة مع ما فيه من الاجحاف في قانون الصحة والدراية

فان كنت رجل عزم ومشيئة تهزُّ عطفيك او تشد حيلك كما تقول العامَّة وتحكم بافضلية ترويض جسمك وايفائه حقهُ من الحركة فتكون اذ ذاك اتيت بعمل مفيد لبدنك وعقلك معًا

ذلك عملٌ من لدن الارادة سهلٌ بسيطٌ لهُ قيمةٌ في ذاته بما يجديه من النفع وقد يكون نفعه الاكبر من ترويض المرء لمشيئته واعداد هذه القوَّة لاقتحام الاعمال الخطيرة والوقوف امام معضلات الايام وقفة العارف كيف يكون العزم والاعتماد على النفس ساعةَ لا تأتي النتائج الَّا بالارادة الشديدة والثبات ورسوخ القدم

ولما كانت هذه القوَّة الحيَّة اي الارادة تؤدي حتمًا الى حسن المصير في كل امر من امور الحياة على انفراد فنما يُعلم مقدار مفاعيلها على حياة الانسان بكاملها اذا

دام فيها فعالها واستمرَّ عملها. وقد يمكن القول بان الرجل الذي فاز بقوَّة المشيئة يساعد نفسه على استجلاب حظهِ في الحياة وعلى عكس ذلك الرجل الضعيف المشيئة فانهُ يقصر عن قهر نفسه للوصول الى تلك الامنيَّة وان كان ذكيَّ العقل كبير الفهم بل يكون العوبة الحدثان يجري في الحياة كمركب بلا دفَّة على بحرٍ عجاج يسلك على غير نهجٍ حيثما يدفعهُ التيَّار وتنفخ فيهِ الارياح فتبتلعهُ الامواج او هو :

كريشةٍ في مهبِّ الريح طائرةٍ لا تستقرُّ على حالٍ من القلقِ

ان الرجال الجبناء الخالين من العزم عددهم قليل لحسن الحظ اما الاشدَّاء منهم واصحاب الحزم والعزيمة في الاعتماد والعمل فعددهم اقلّ جدًّا لسوء الطالع . ومعظم الناس واهنو العزيمة متقلّبون بين الامرين ولو تمكّنوا كيف يريدون لكانوا اشدّ واثبت ان التردُّد والتقلّب داءان يعتريان المرء ثم يستحيلان الى شللٍ يصيب المشيئة وهما في بعض المواقف من المعائب التي تجرُّ الويل والبلاء . واذا كان مثل هذا العيب في صاحب الامر لأدَّى بهِ الى وقوع الرزايا . واهم مؤيّدٍ ترين من تقلَّد الرئاسة هي قوَّة الاعتماد على النفس ومما تقدَّم يلوح جليًّا ان معرفة العزم وفن الحزم ضروريَّان في معيشة الشعوب ومعيشة الافراد

*

اما مقدرة المشيئة الشديدة فلنا في التاريخ الف شاهد يؤيدها ويبرهن عليها وما من سياسيٍّ او قائدٍ عظيمٍ الَّا تراهُ حازمًا عنيدًا قويَّ الارادة . واليكم شاهدًا بين الف : ان نابوليون بالرغم عمَّا كان متَّصفًا بهِ من قوَّة العزم وبُعــد شوطهِ في الفنون الحربيَّة لما ضعف ووهن وصادمهُ القائدان بلوشر وولنكتن بعزيمة رمضاء تحطَّم وانكسر فلو كان بدا من هذين القائدين او من احدهما بعض الضعف في عزمهم او وهنت ارادتهم لكان نصر « واترلو » معقودًا بلواء الجيش الفرنسوي . وليس قولنا محض افتراض عقليٍّ بل هي الحقيقة بنفسها . وذلك انهُ لمَّا حملت عساكرنا على صفوف الانكليز المربَّعة اخذت تتراجع حتى كادت تذهب شذر مذر لو لم يعضدها « دوك الحديد » بمجرَّد قوَّة مشيئتهِ فثبتها مكانها الى المساء. واذ ذاك ظهر بلوشر وملء نفسه العزم على الكفاح وفيهِ الرغبة بالفوز بعد ان قهره نابوليون مرارًا وهزمته الفرسان الفرنساويون في « ليني » وفتكت بهِ فصار

الى مواقع «واترلو» حيث كانت تدعوه الآمال الطيبة وصار ما صار فسقط ذاك البطل مدحوراً بقوة الحزم وثبات العزم الذي نفخ في صدور اخصامه

وتوجد شواهد عظيمة في غير هذا المعنى ومنها ما هو مشهور كما جاء عن الفيلسوف زينون انهُ كان يشرح لتلاميذه قضية من مذهب الفلسفة الزينونية مآلها ان الألم ليس بشيء. وبينا هو يقول ذلك فاجأتهُ نوبة الم تقريسي فلم يعبأ بها بل شدد عزمه وغلب الوجع. واخبر الشاعر غوته عن نفسه قال: انهُ فشا في جواري وباء حتى عفنية وكنت معرّضاً للعدوى فاعملت قوة مشيئتي ففزت بنفسي من المرض

ان المشيئة اذا واصلت عملها في الانسان تحت قيادة العقل فبلغت مبلغ ارتقائها وانتشارها فيه يكون منها الخلق او الطبع. فصاحب الطبع هو صاحب المشيئة والثبات والنشاط وهو في الوقت نفسه احسن وانفع واندر من وُجد في الهيئة الاجتماعية

واعلم ان ما يُقال عن محاسن المشيئة يُطلق باولى حجة على الطبع وللطبع يد في عمل الخير والحصول على الفضل كما لهُ اليد الطولى في الوصول الى الحظ والسعادة

بالطبع يهذب الانسان نفسه آداباً وفهماً وبه يخط لحياته نهجاً تسير عليه ولهُ ذات الاهمية في كلا العملين الادبي والمادي

صاحب الخلق يرتفع عقلاً ويتجمّل ويتكمّل بملازمة الخير اذ انهُ يوجد فرق بين الطريقين اللذين ينفتحان امامنا طريق الخير وطريق الشر. اما طريق الشر فسهل سلوكها لانها على منحدر يدفع بنا ويكفي ان نسوق اقدامنا عليه لنهبط في الهاوية عاجلاً. اما طريق الخير فوعرة المسلك لانهُ ينبغي لمتابعة السير فيها عزم مستديم ومشيئة ثابتة وبوجيز الكلام لا بدَّ من خلق نتخلّق به وبه نتحلّى

ان الجدّ في تحسين الحال والكمال والسعي وراء الخصال الحسنة والفضائل يستلزم عملاً متواصلاً يتجدَّد في كل يوم ومثلهُ الاعتناء باستئصال المعايب ومقاومة النقائص والتحذُّر من الاميال القبيحة والتسلّط على الشهوات. ومن وراء ذلك نفع حقيقي هو النفع الخصوصي

على انهُ ينبغي لنا ان ننفع الغير ايضاً ادبياً ومادياً بالنصائح والامثال والعمل والمقال والرجل صاحب الخُلق الثابت لا شيء يلويه عن هذه الهمّة الشريفة الجميلة اي نفع الغير بل يقوم باعبائها بكل تأنٍ وذمة مستنيراً بالعقل ومسترشداً بالمشيئة.

وعليه ان يفحص ضميرهُ ويمحص اعماله كما كان يعمل ذلك الملك الفيلسوف ويقول :

اذا مرَّ بي يومٌ ولم اتخـذ يدًا ولم استفد علمًا فما ذاك من عمري

وكذلك ليس من عمرك يومٌ يفوت ولم تعمـل به الخير للقريب او تختلس منهُ ساعاتٍ للتأمل لان في التأمل تجدد العزم في نزاع الحياة وفي هذا النزاع المتحتم علينا يكون الفوز والنجاح لرجل الحزم فعزيمته سلاحٌ لهُ يفيده ويفيد ذويهِ وبهِ يعظم ويرتفع ويحقق كلّ امانيهِ

ثم ان الطبع يساعد المرء على التقدم والسعادة اكثر ممَّا يفعل الفهم والمال. فمن رام ان ينجح في هذه الحياة وكان اهلًا لذلك فادعُ لهُ بطبعٍ رزين والبقيَّة تأتيهِ عفوًا

على ان الرجل الحاصل على احسن المزايا البدنيَّة لا يلبث ان يرى خمودًا في عضلاتهِ ووهنًا في جسدهِ اذا اهمل الرياضة والتمرين فكم بالحري يكون ذلك في القوى الادبيَّة وان اهملنا تهذيب اخلاقنا في أيام الشباب فاي متى يكون اهتمامنا في طبعنا. فقد حان الوقت للشبان الذين اخاطبهم ان يقوموا بتهذيب اخلاقهم وانماء ادبيات ذاتهم واليهم اقول : اذا اعتمدت على بلوغ هذه الغاية فاذكر الكلام الذي صدَّرتُ بهِ هذه المقالة : تعلَّم ان تريد

(المشرق) انَّ الفصل السابق الذي نقلهُ جناب الدكتور النطاسي حبيب افندي الدرعوني من كتاب دوس في الخُلُق والمشيئة جدير بالاعتبار اذ يعلّم الانسان كيف يشدّد عزيمتهُ ويحمل نفسهُ طوع مشيئه ليحملها الى مكارم الاخلاق ومحاسن السجايا . ولا نأخذ على المسيو دوس سوى إضرابهِ عن اقوى الوسائل فعلًا واشدّها قسرًا للمشيئة النافرة وللاهواء الثائرة ألا وهي الفضيلة المبنيَّة على روح الدين وتُقى الله لا ننكر تلك القوَّة اذا استمكنت في المرء تستطيع في امور كثيرة ان تنكّب عن الدنايا وتلزم الواجب الَّا انَّ هذه الهمَّة مهما كانت عاليةً شريفة ان لم تلقَ لها سندًا متينًا لا تلبث ان تخور وتنفشل وليس من سند متين غير الدين ونعمتهِ تعالى الذي باوامرهِ وزواجرهِ وبما يتوعَّد بهِ المرء من العقاب او ما يعدهُ من الثواب يجعلهُ كافيًا لملازمة الفضيلة ويقوّيهِ على ملذَّات العالم ويثني بهِ عن الشهوات البدنيَّة لا بل يحملهُ على تجشُّم الاتعاب والاوجاع كلّها وعلى احتمال الموت ومقاساة العذابات بملء الرضى وبطيب القلب حبًّا بالآخرة وبالمواعيد المخلَّدة التي يُثبت لهُ الدين مع صوت ضميرهِ صحتَها وحقيقة وجودها وكلٍ من ضعفت فيهِ هذه العواطف هو على شفا الهلاك سيتضعضع قريبًا ركنهُ لا محالة . ومن ثمَّ ينبغي على اصحاب الامر ان يعززوا في بلادهم روح الدين ويشدُّوا ازرهُ في القوم وخصوصًا في الاحداث فلولاهُ لفسدت الهيئة الاجتماعية كما يلوح من تاريخ جميع الامم القديمة والحديثة ل . ش

المسوخ عند اليونان والرومان

نبذة للاب لويس جلابرت اليسوعي

جاءنا القسم الثامن والثلاثون من كتاب معجم العاديات اليونانية والرومانية الذي يتولى نشرهُ العلماء الاثريون دارنبرغ وساغليو وپوتيه (١ . ولمَّا كنَّا عرفنا غير مرَّة فضل هذا المعجم وما يتضمَّنهُ من المواد الغزيرة الشاملة لكل معارف القدماء لا نرى الى اطرائهِ داعياً . ويكفانا لمدحهِ القول بأنَّهُ اعظم واوسع معجم كُتب حتى اليوم في آثار رومية واثينة وانَّ عدد صوره بلغ ٥٦٩٨ وقد انتهى منهُ حتى الآن نحو ثلثيه نقط وآخر مادَّة دار الكلام فيها الخبَّاز عند القدماء (Pistor)

وها نحن هذه المرَّة نختار من الجزء الذي وردنا احدى موادهِ التي لها بعض العلاقة مع العادات الشرقيَّة نريد بها المسوخ . والمسخ في اللغة كل صورة مشوَّهة وانَّما أُريد بهِ عند العرب تغيير توهَّموهُ في الآدمي بحيث ينتقل من صورتهِ الطبيعيَّة الى صورة حيوان غير ناطق او الى صورة أُخرى بقوَّة خارقة الطبيعة . ثمَّ اطلقوا اسم المسخ على كلّ تشويه صناعي للصورة البشريَّة ومن هذا الاسم العربيّ اشتقَّ الفرنج لفظة « Masque » دلالةً على التصاوير السخريَّة التي يجعلونها على الوجوه في بعض المواطن كما انَّهم استعاروا ايضاً من العربيَّة لفظة « Mascarade » من « المسخرة »

وقد سبق حضرة الاب انستاس الكرملي مكاتبنا البغدادي المتفنّن وذكر هذه السَّنة في مقالتهِ عن المرفع (ص ١٩٣—٢٠٢) عادات الشرقيين خصوصاً في اتّخاذ هذه الأزياء الغريبة والتنكُّرات العجيبة امَّا تفكُّهاً وامَّا تهتُّكاً . ولعلَّ شعوب الشرق القديمة هي التي تقدَّمت غيرها في استعمال المسوخ وقد وُجد في مصر القديمة ما ينبئ بذلك منذ الف سنة ونيِّف قبل المسيح (٢ وآثار ذلك باقية حتى يومنا في مدن كثيرة وهو ما يُعرَف بالقره كوز (كاكوز) ومعناها في التركية العين السوداء

١) Daremberg, Saglio et Pottier: Dictionnaire des Antiquités grecques et romaines. 38e Fasc. (PARIES-PISTOR), *Paris, Hachette*, 1906.

٢) راجع كتاب المسيو هوروڤتس (Horovitz: *Spuren griech. Mimen. im Orient*)

امَّا اصل استعمال المسوخ فقديم جدًا عند اليونان ولعلَّهم اتَّخذوا هذه العادة من الشرقيين وتلهَّوا بها لتفكيه العامَّة وأملًا بالربح لكنهم ما فتئوا ان وجدوا فيها وسيلة للالعاب المرسحيَّة فاتَّخذوها لفنّ التمثيل سواء كان مأساةً او رواية هزليَّة واقتدى الرومان في ذلك بسلفهم اليونان

والظاهر ان المشخّصين اتَّخذوا المسوخ في اثينة منذ اوَّل استعمال فنّ التراغودية اي تمثيل الروايات المفجعة · وكان مخترع هذا الفنّ الشاعر تسپيس نحو السنة ٥٣٦ قبل المسيح ثمَّ جاء اسخيلس بعده (٥٢٥–٤٥٦) فزاد الفنّ تحسينًا واستعان كلاهما بالتصاوير المسخيَّة كما استعانا بالملابس لتشخيص احوال القدماء وهيئاتهم وحركاتهم ·

وقد وُجد من هذه المسوخ اليونانية آثار متعدّدة توافق ما وصفها به قدماء الكتبة وما ورد منها ايضًا منثورًا على الحجارة او منقوشًا على صحائف الكتب · ولم تكن تلك المسوخ على مثال المسوخ المعروفة في عهدنا تُجعل على الوجه فتحجبهُ وانَّما كانت تغطّي الرأس كلَّهُ حتى قذالهُ كخوذة الفرسان في القرون المتوسطة لكنهم كانوا يضعون على الرأس لبدًا ليقيهُ من اذى المسخ وضغطه · وكانوا يتَّخذون لاستحضار هذه المسوخ اخلاقًا يجماونها في قالب ويضغطونها حتى تصبح صلبة جاسية ثمَّ كانوا يركبون عليها جصًّا ثم يصبغون الجصّ بالالوان ويصوّرون كلّ تقاطيع الوجه تصويرًا ناصعًا بأصباغ تُرى من بعيد يتركون للفم شدقًا واسعًا بحيث يمكن المشخّص ان يُسمع صوتهُ على بعد ولعلَّ تركيب المسخ كان يزيد الصوت قوَّة كأنهُ البوق · وكانوا يتَّخذون للمسخ شعرًا صناعيًّا مختلف الالوان على حسب اطوار اللاعبين واعمارهم

وكانت هيئات هذه المسوخ عديدة جدًّا · فان الغراماطيقيّ پولوكس احد كتبة القرن الثاني بعد المسيح اذ وصف اصناف الملابس المرسحيَّة عدَّ ٧٦ نوعًا من المسوخ وخصَّ بينها ٢٨ مسخًا لتمثيل عواطف الحزن المختلفة في المآسي كالكآبة واليأس والغضب وعدَّ ٤٤ مسخًا للروايات السخريَّة · واغرب ما كان بينها ما اتَّخذوهُ منها للهزل والضحك حتى انَّ الحضور بمجرَّد النظر اليها كانوا يستغربون من القهقهة والضحك فمن ذلك مسوخ كانت تمثّل بعض مشاهير العصر من قوَّاد وفلاسفة وحكَّام كانوا ينسبون اليهم ادوارًا مبهجة ويتقلَّدون حركاتهم واعمالهم واصواتهم وتارةً يمثّلون مسوخًا هزليَّة كمسوخ الحيوانات والطيور يجعلون لهم الرؤوس الضخمة والقرون

الطويلة والمناقير المروَّسة كما فعل ارسطوفانس في رواية الطيور · وكانوا في الغالب يجعلون للممثل رأساً مسخياً موافقاً للدور الذى يلعبهُ كرؤوس الآلهة او الجبابرة او البشر او البهائم التي كانت تُرى على المرسح



مسوخ هزلية

وقد أبقى لنا بعض الكتبة وصف صور المسوخ وفقاً لأحوال الممثلين قالوا : يُعطى الاب الحنون شعراً قصيراً وثغراً باسماً وحواجب ساكنة ونظراً منكّساً · اما الاب الصارم فليكن مسخهُ ماحل الوجنتين ومتّقد العينين ذا سحنة صفراويّة وشعر صناعيّ اشقر وآذان مشوّهة · وان كان ابًا متنقّلًا من اللطف الى الجفاء فليجعل لهُ مسخٌ ذو هيئتين مختلفتين فالحاجب الايمن المنتصب يدلُّ على الغضب والحاجب الايسر



مسخ الحزن



مسخ الغضب

المتساوي على الأناة ولين الطبع . والممثّل يُري الحضور جانباً دون الآخر على مقتضى المعنى

وان اردت تمثيل الشاب ألبسهُ مسخاً يمثّل وجهاً مزهراً متورّداً يدلُّ على القوّة والانفة ان كان ابن البيت . واعطـهِ مسخاً ذا عيون غائرة ولون شاحب ان كان جعد الشعر . وامسخهُ بمسخ ابيض يقق مدهون بالاسبيداج ان نويت تمثيل شاب رغد متنعّم . وان كان فلّاحاً فلتكن شفاهُ غليظة

اجعل للطفيلي صورة باسمة متذلّلة مع آذانٍ متلطحة لكثرة ما ينالهُ من الصّفعات

وكذلك النساء فانَّ صورهنَّ تختلف ايَّ اختلاف على حسب احوالهنَّ من شباب او عجز . من غنى او فقر . من سيّدات او اماء

فمن تعداد اجناس هذه المسوخ نرى انَّ قدماء اليونان والرومان كانوا توصّلوا الى تمثيل احوال المشخصين رغماً عمّا في هذه التصاوير من الصلابة والشدَّة

ولكن هناك صعوبـة أُخرى ما كان يمكن القدماء ان يغلبوها تماماً وهي رسم عواطف النفس على تقاطيع الوجه . فانك لو عاينتَ ممثّلاً في زماننا يُحسن التشخيص تراهُ في الساعة ينتقّل من عاطفة الى عاطفة ومن سحنة الى اخرى فيبكي ويبتسم ويفرح ويحزن ويغضب ويروق ويحمرّ بالخجل ويزرقُّ بالغيظ . فان اكتفى بالمسخ الواحد لَما امكنهُ تمثيل كلّ هذه العواطف في وقت قريب لكنَّ القدماء كانوا يقنعون بالصور القليلة فيوجّهون فكرهم الى اصوات المشخصين اكثر منهم الى ايماء وجوههم وتلونها بالاحساسات النفسانيَّة كما يجرّد المحدثون فكرهم اذا رأوا المساخر او ألعاب الكوسج فيتفكّهون بمناظرها الغريبة وحركات اصحابها واقوالهم وان كان في هيئات وجوههم بعض الخلل

هذا ما وصفهُ اصحاب معجم العاديّات بتصاوير وشواهد قديمـة وقد مثّلنا من هذه الصور بعضها ليقف القرّاء على حقيقتها

بطرس الرسول في رومية

للاب ل. رغ. اليسوعيّ

هاءنذا قد قرب عيد الرسولين الاعظمين بطرس وبولس وهو عيـد جليل تعظّمهُ

الكنيسة في اربع خوافق العالم متذكرة قول بولس الى اهل افسس (٢: ١٩—٢٠): «يا اخوة لستم غرباء بعد ولا دُخلاء بل انتم رعيَّة مع القديسين واهل بيت الله وقد بُنيتم على اساس الرسل والانبياء وحجر الزاوية هو المسيح يسوع» .. فاكراماً لهذا الاساس المتين تجدّد الكنيسة افراحها كما تفرح الامم بمواسم عظمائها الذين قلّدوها فخراً وشرفاً . والطوائف الشرقيَّة في ذلك تجاري الكنيسة الغربيَّة وهي كانت تستعدُّ لهذا العيد باصوام طويلة لا تقلّ عن ١٥ يوماً وآثار ذلك باقية الى عهدنا في كلّ الطقوس المتَّحدة مع الكنيسة الرومانيَّة او غير المتَّحدة ولو لم يكن في كنائس الشرق غير هذه العادة لكانت كافية للدلالة على رئاسة ذلك الهامة الذي قال لهُ المسيح (متّى ١٦—١٨) : انت الصخرة وعلى هذه الصخرة ابني بيعتي . وقال لهُ (لوقا ٢٢: ٣٢) : ثبّت اخوتك . وقال (يوحنَّا ٢١: ١٥—١٧) : ارع خرافي... ارع نعاجي . فان كان بطرس كبقيَّة الرُسل فما الداعي لكلّ هذه التقشُّفات والاستعدادات التي لا شبيه لها في الكلندار السنويّ الَّا في بعض الاعياد الربيَّة وعيد السيّدة والدة الالـه الكليّ طهرها

*

على انَّ غايتنا في النبذة التي حاولنا ان نسطّرها اليوم ليست هي اثبات الرئاسة البطرسيَّة التي سبق للمشرق الكلام عنها غير مرَّة وانَّما اردنا بيان قضيَّة أُخرى ليست هي من عقائد الدين الكاثوليكي وان كانت لها مع هذه المعتقدات روابط وثيقة نريد دخول بطرس الى رومية وجلوسهُ على كرسيّها وموتهُ فيهـا . وهي قضيَّة تاريخيَّة حاول انكارها بعض المبتدعين رجاء ان يضعفوا بذلك الاعتقاد بالسيطرة البطرسيَّة على الكنيسة جمعاء وقد تعقَّبهم بعض الشرقيين في زعمهم الباطل فكان كانعكاس صدًى لما تقاولهُ جزافاً من اصحاب الغايات . وممَّن تردَّدوا في القول فترى كلامهم متبايناً او متناقضاً الدكتور جورج بوسط في كتاب قاموس الكتاب المقدَّس (١: ٢٣٠) فانهُ يقول اوَّلًا : «ووصف المؤرخون القدماء كيفيَّة صلبهِ (اي بطرس) بالتفصيل غير انهُ لا يؤكد في ايّ موضع او بأيّ وقت استشهد هذا الرسول الفاضل» . ثمَّ اردف بعد هذا قائلًا : «وعلى كل فيكفينا الترجيح ان بطرس ذهب الى رومية واستشهد فيها حسبما ذكر بابياس وايرينيوس واكليمندس الاسكندري وترتليانوس وكايس واورجانس

واوسيبيوس فان هؤلاء لم يزيدوا على قولهم انَّ الرسول ذهب الى رومية حيثما استشهد» فيا لله كيف يوفّق الدكتور بين قوله الأوَّل « لا يؤكّد موضع ووقت الاستشهاد » وبين قوله الاخير مستندًا الى هذا العدد من المؤرخين الذين يصرّحون بالقضيَّة

وقبل ايراد الشواهد التاريخيَّة التي تنفي عن الامر كلّ شبهة لا بُدَّ من تنبيه القرَّاء الى انَّ مسألة رئاسة بطرس على الكنيسة الرومانيَّة ليست مبنيَّة على دخول ذلك الرسول في حاضرة الدولة الرومانيَّة حتى انهُ لو سلّمنا بعدم مجيء بطرس الى رومية وبعدم استشهاده فيها لما لزمنا القول بان بطرس ليس بهامة الرسل او انَّ رئاستهُ ورئاسة اخلافهِ الى آخر الاجيال ليست بثابتة او بأن الكنيسة الرومانيَّة ليست امّ الكنائس التي يُقتضى الاقرار بسلطتها . فانَّ هذه الامور كلها يمكن اثباتها دون الاستناد الى قضيَّة دخول بطرس الى رومية . فافترض مثلًا انَّ الحبر الرومانيّ يجعل مدينة باكين كرسيًا بطريركيًا ويخوّل صاحبهُ الحكم على كلّ كنائس الشرق الاقصى وان البطريرك المعيّن لهذا الكرسي لا يمكنهُ الدخول الى الصين لاسباب من حروب او اضطهادات او غير ذلك افلا يكون هذا البطريرك صاحب الكرسيّ ؟ او ليس الذين يخلفونهُ في رتبتهِ في باكين لهم السلطة التي نالها؟ او يكون عدم دخولهِ الى الصين مانعًا لحكمهِ على كرسيّ باكين وعلى كنائس تلك البلاد اللاحقة بها ؟ كلّا . فكذلك ولو ثبت انَّ بطرس لم يدخل قطّ الى رومية فذلك لا يمنع كونهُ قلّد رئاسة الكنيسة الرومانيَّة وانَّهُ اختار عاصمة المملكة الرومانيَّة لكرسيّهِ وانهُ علّق بهذا الكرسيّ سلطتهُ العامَّة على الكنائس كما تشهد على هذهِ السيطرة عدَّة شواهد صادقة ترتقي الى اوَّل النصرانيَّة اثبتها المشرق سابقًا . وما نقولهُ عن دخول بطرس الى رومية يصحُّ ايضًا في اقامتهِ وموتهِ في تلك الحاضرة . فانَّ بطرس من حيث هو رسول المسيح كان يمكنهُ ان يتَّخذ رومية كمركز رئاستهِ ثمَّ يتجوَّل في انحاء المعمور ليدعو الشعوب الى التنصُّر كغيرهِ من الاثني عشر وهو يهتمُّ في اثناء ذلك بشؤون كنيسة رومية اهتمامًا خاصًا . فترى من هذا القول شطط الذين يزعمون انَّ الكاثوليك يسندون قضيَّة رئاسة بطرس في الكنيسة الرومانيَّة الى دخولهِ رومية . فانَّ هذه الرئاسة مستندة الى براهين اقوى واثبت اعني اقوال المسيح المتكرّرة لبطرس اذ نصبهُ مع اخلافهِ رئيسًا للكنيسة يضاف اليها اتّفاق كلّ الأجيال والآثار على انَّ الكنيسة الرومانيَّة وحدها لها حقّ التقدّم والرئاسة على كلّ

الكنائس وانها وحدها ادّعت هذه السيطرة وانّ الكنائس لم تخالفها في دعواها بل عرفت لها ذلك قولًا وفعلًا مدّة قرون متوالية .

فبعد هذه المقدّمة نقول انهُ من الامور التاريخيّة التي لا يمكن انكارها: ١ً انّ بطرس الرسول دخل رومية ٢ً وانهُ استشهد بها

١ دخول بطرس الرسول الى رومية

انّ الشهادة الاولى التي يمكنّا الاستناد اليها لبيان قولنا في ذهاب بطرس الى رومية هي لاحد تلامذة بطرس وهو القديس اقليميس الذي تولّى من بعدهِ الرئاسة على كنيسة رومية ولهذا القديس رسائل تُعدّ كأوّل آثار النصرانيّة بعد اسفار العهد الجديد منها رسالةُ الاولى الى اهل كورنتس تاريخها على ما اثبت العلماء السنة ٩٦ للمسيح. ففي اثنائها يذكر النصارى الذين قتلهم نيرون ويجعلُ في جملتهم القديسين الرسولين بطرس وبولس ثم يقول عنهما «انهما قد صارا بيننا قدوةً حسنة ومثالًا طيّبًا» فقولهُ «بيننا» دليل واضح على ان ذينك الرسولين استشهدا في رومية

ومن الشواهد التاريخيّة الراهنة شهادة اغناطيوس النوري رئيس اساقفة انطاكية فانهُ كان من تبعة الرسل ومات شهيد النصرانيّة السنة ١٠٧م على عهد طرايانس قيصر (١ . فلمّا كتبهُ هذا القديس قبل موتهِ رسالة وجّهها الى نصارى رومية (٢ يحضّهم فيها على ان لا يشفعوا بهِ ويحولوا دون موتهِ فريسةً للسباع ثمّ يقول: «اني ارجوكم ايها الاخوة ان لا تظهروا لي حبًّا في غير وقتهِ دعوني اكون طعامًا للسباع... نعم اني لستُ آمركم كما بطرس وبولس فانهما كانا رسولين وانا لستُ الّا رجلًا مقضيًّا عليهِ بالحكم». فمن لا يرى أنّ في قولهِ «لستُ آمركم كما بطرس وبولس» ان بطرس وبولس كانا يأمران على الرومانيين ومن ثمّ ان بطرس اقام مدّة في رومية ولولا ذلك لأضحى كلامهُ لغطًا لا معنى لهُ

ولنا شاهد ثالث من احد تبعة الرسل بابياس اسقف هيرابوليس وتلميذ يوحنّا الرسول ولهذا القديس كتابات شتّى اخذتها يد الضياع لكنّ اوسابيوس القيصري قد حفظ لنا منها شذرات من جملتها قولهُ في بطرس الرسول انّهُ «كتب رسالتهُ الاولى في رومية وانهُ

١) اطلب مجموع آباء اليونان لمين (Migne, PP. GG. I, 218)
٢) المجموع عينهُ (Ibid. V. 690)

دعا فيها رومية مجازًا مدينةَ بابل (١) وهناك يقول ايضًا بابياس « ان بطرس اوعز الى تلميذهِ مرقس بان يكتب انجيلهُ لفائدة الرومانيين »

وان ولجنا في اواسط القرن الثاني وجدنا شهادات أُخرى على مجيء بطرس الرسول الى رومية . فهذا ايريناوس تلميذ بوليكربوس تلميذ يوحنَّا الانجيليّ فانهُ يقول في كتابهِ الثاني المعنون بالردّ على الهرطقات : « لو اردنا تعداد كل الكنائس ومن تولَّى فيها الرئاسة لطال بنا الكلام لكنَّا نكتفي بذكر اعظمها شأنًا واقدمها اصلًا واشهرها اسمًا اعني الكنيسة التي انشأها في رومية القديسان الجليلان بطرس وبولس فانها حافظة على التقليد الرسولي بلا انقطاع » ويقول في محلّ آخر: « استشهد بطرس وبولس في عهد نيرون » فهاتان الشهادتان اصرح واوضح من ان تحتاجا الى شرح لاسيَّما انَّ ايريناوس يورد جدول الاحبار الرومانيين من الرسل الى زمن القديس الوثاريوس الذي كان في عهدهِ . وفي هذا القرن الثاني ايضًا كتب ديونيسيوس اسقف قورنثوس الى الرومانيين رسالة اثبتها اوسابيوس في تاريخهِ (ك ٢ ف ٢٥) فيها يقول لمسيحيي رومية (٢ : « انَّ بطرس وبولس سافرا الى ايطالية وانشأا كنيستكم واستشهدا في وقت واحد »

ومن معاصري ايريناوس وديونيسيوس اقليميس الاسكندريّ الذي اورد كلامهُ اوسابيوس في تاريخهِ (ك ٦ ف ١٦) حيث قال: « انَّ بطرس بشَّر بكلمة الله علنًا في مدينة رومية (٣ »

وبعد ايريناوس بقليل قام المعلّم ترتليان في اواخر القرن الثاني واوائل الثالث وكتبهُ مشحونة بالشواهد على مجيء بطرس في رومية . فتارة يدعو اهل عصرهِ الى زيارة الكنائس المقدَّسة بتعاليم الرسل فيهتف (٤ : « ان كنت قريبًا من بلاد اخائيَّة وجدت كنيسة قورنثوس وان سرتَ قليلًا وجدت كنيسة فيلبّي وتسالونيقية وان جزتَ الى آسية رأيت افسس وان عدلت الى ايطالية واتجهتَ رومية التي منها مصدر السلطة الدينيَّة . فما اسعد تلك الكنيسة التي اشركها الرسل بتعليمهم ودمهم معًا

١) راجع المجموع عينهُ (Migne, PP. GG. XX, 171)

٢) في نفس المجموع

٣) مجموع الاباء اليونان لمين (Migne, PP. GG. XX: 351)

٤) مجموع الاباء اللاتين لمين (Migne: BL. 44. II, 49, Tertullian.: *de Præscr.* 36)

حيث بطرس مات كسيده (اي مصلوبًا) » . وتارة يقابل بين يوحنا المعمدان ومعمودِيتهِ في الاردن وبين معمودية بطرس في نهر رومية المدعو تيبر (١ . وحينًا اخر يشهد بان بطرس قُتل شهيدًا في رومية على عهد نيرون (٢ . وان بطرس وبولس سلّما الانجيل للرومانيين مختومًا بدمهما (٣

فهذه شواهد كلها من القرون الثلاثة الاولى ولو اردنا لأضفنا اليها شواهد غيرها من ذلك العصر وسنورد بعضها في القسم الثاني . امَّا القرن الرابع فانَّ الشواهد التاريخيَّة على ذهاب بطرس الى رومية اكثر من ان تُحصى ككبريانوس وايرونيموس واوسابيوس ولكتنسيوس الشاعر . ونكتفي بذكر شهادات ابي الكنيسة اليونانيَّة الجليل في القديسين يوحنا فم الذهب حيث قال في خطبة القاها في انطاكية (المشرق ٥ : ١٣٩) وهناك يذكر ان من مفاخر انطاكية كون بطرس اوَّل اساقفتها ثمَّ اردف قائلًا : « لكنَّنا لم نحفظ لدينا هذا المعلّم الجليل فانَّ مدينة رومية الملكيَّة ورثت منا هذا الكنز الثمين » . وهو القائل في مسيرهِ عن استشهاد القديس اغناطيوس النوري : « كان ينبغي لاسقف انطاكية هذا ان يتدشّن باستشهادهِ مدينة رومية كما استشهد فيها قبلهُ بطرس وبولس »

فليت شعري ايوجد في تاريخ حادث مبنيّ على شواهد متعدِّدة كهذا فان شك احدٌ بعد ذلك بصحّته فما ازلاهُ ان ينبذ وراء ظهرهِ كلّ التواريخ القديمة

وان سألت أيوجد في اسفار العهد الحديث شاهد على ان بطرس ذهب الى رومية؟ اجبنا انَّ الامر مشكوك بهِ والمرجّح انَّ القديس بطرس في رسالتهِ الاولى اشار الى رومية حيث قال « ان الكنيسة التي في بابل تسلّم عليكم » فسمّى رومية بابل لانتشار عبادة الاصنام بينها وتنتذ مع كثرة ما يُقترف بينها من الآثام . ويدلُّ على ذلك انَّهُ ورد في نسخ كثيرة من هذه الرسالة انَّ بطرس كتبها في رومية . وهكذا فهم العبارة قوم من العلماء كإياس الذي سبق ذكرهُ . ومثلهُ ما ورد في كتاب رؤيا القديس يوحنا

١) De Bapt., c. 4, Migne, I: 1203

٢) Scorpiac. 15, Migne II, 151

٣) كتابهُ في تفنيد مرقيون (Adv. Marcion. IV, 5)

عن وصف بابل الزانية فانَّ المفسرين يذهبون الى ان المقصود ببابل رومية الوثنيَّة كما اشار اليها بطرس الرسول

٣ استشهاد القديس بطرس في رومية

ليس فقط بشَّر بطرس هامة الرسل رومية وانشأ فيها كنيسةً بل كانت ايضًا وفاتهُ في تلك العاصمة . وهذا ممَّا يلوح من عدَّة شهادات مدوَّنة في القسم الاوَّل من مقالتنا كشهادة اقليميس تلميذ بطرس وشهادة ديونيسيوس القورنثي وشهادة ترتليان . . ولو شئنا لألحقنا كلامهم بشواهد أخرى

وهذه شهادة اوريجانوس المعلّم نقلها اوسابيوس في تاريخهِ (ك ٣ ف ١) : « وقد جاء بطرس آخرًا الى رومية وفيها صُلب منكَّس الرأس »

وممَّا يدلُّ على استشهاد القديس بطرس في رومية التقليد المتواتر الذي يجعل قبرهُ في تلك العاصمة مع ما نعرف من اكرام قدماء النصارى لشهدائهم ونشاطهم في جمع ذخائرهم وتعظيم قبورهم فما قولك بالذين كانوا كالقديس بطرس وبولس رؤساء دينهم وكبار احبارهم لاسيَّما بطرس هامة الرسل ومتقدّمهم . فلو لم يمت القديس بطرس في رومية فكيف لا نجد اثرًا لقبر هذا الرسول في مدينة أخرى . وكيف نجد رومية وحدها ادَّعت لنفسها هذا الشرف منذ الاعصار الاولى ولم ينازعها شرفها غيرها . لا بل نجد كلَّ الشواهد متَّفقةً على تعيين رومية كمحلّ هذا القبر . دونك شهادة الكاهن قايوس الروماني من كتبة اوَّل القرن الثالث فانهُ قال وقولهُ رواهُ اوسابيوس في التاريخ الكنسي (ك ٢ ف ٢٥) : « ان اردت ان تسير الى جبل الواتيكان (حيث صُلب بطرس) او على طريق اوستية (حيث قُطع رأس بولس) تجد مشاهد الذين أسَّسا كنيستنا » . ولهُ في محل آخر جدول اساقفة رومية فيقول عن اقليميس انَّهُ الثالث بعد بطرس الرسول (١ . فينتج ممَّن هذا القول انَّ قبر بطرس الرسول كان مكرَّمًا منذ السنة ٢٠٠ للمسيح في لحف ربوة الواتيكان . وكان هناك معبد صغير اقام قسطنطين مكانهُ تلك الكنيسة الملكيَّة التي اتخذ العالم الكاثوليكي يتقاطر اليها من اقاصي المعمور

١) راجع كتاب الاب فيليون في سيرة الرسول بطرس (S^t PIERRE par l'abbé Fillion, 2^e édition, *Lecoffre*, *Paris*, 1906, pp. 207

هذا ثمَّ لنا في الآثار القديمة المكتشفة في دياميس رومية شواهد جديدة أتت في عهدنا لتؤيد التقاليد المتواصلة المنبئة بقدوم الرسول بطرس الى رومية وموته فيها . وقد افرد المشرق قبل سنتين مقالةً (٦ : ٥٧٧) مدبَّجة بقلم الاب جلابرت تثبت ذلك بالتصاوير والرسوم الاثريَّة فنحيل القرَّاء الى مراجعتها

ويلحق بهذا الباب ذكر كرسي مار بطرس الخشبي الذي جلس عليهِ الرسول أيَّام رئاستهِ الرومانيَّة ولهذا الكرسي عيد خصوصي في الكنيسة اللاتينيَّة وهو واقع في ٢٢ شباط . وقد كرَّمهُ قدماء النصارى وعاينهُ في القرن الخامس اينوديوس اسقف مدينة بافي ويمكن تتبُّع آثارهِ الى القرن الرابع في أيَّام البابا داماسوس لا بل تجد ذكرهُ في اواخر القرن الثاني في كتابات ترتليانوس

ولنا شاهد آخر على قدوم بطرس الى رومية في تآليف الهراطقة الاوَّلين كالابيونيين والمرقيونيين وغيرهم فانَّهم صنَّفوا منذ القرن الثاني والثالث عدَّة كتابات ملفَّقة زوريَّة نسبوا فيها الى القديس بطرس اعمالاً غريبة تزويجاً لتعاليمهم لكنَّهم لم يجسروا قطُّ ان ينكروا دعوة هامة الرسل في رومية وموته فيها فكفى بسكوتهم دليلاً على صدق هذا الحادث التاريخي الذي يقرُّ بهِ اليوم حتى كبار الملحدين كهَرْنَك (Harnak) وربنان . قال هرنك : « انَّ مجيء بطرس الى رومية حدثٌ تاريخيٌّ اوضح من ان يقع تحت البحث »

ومما يسرُّنا ذكرهُ في ختام هذه المقالة توافُق عموم الكنائس الشرقيَّة متَّحدةً كانت مع الكرسي الرسولي او منفصلةً في اثبات هذه الحقيقة فانَّ كتبها الطقسيَّة طافحة بالشواهد في هذا الصدد فنستشهد من كلٍّ منها بشاهد واحد دفعاً للملل

١) الكنيسة النسطوريَّة والكلدانيَّة) تتغنَّى في كتاب فرضها (الحدر والكاز) : « طوباكِ يا رومية الذائعة الشهرة يا مدينة ملكيَّة يا أمة العروس السماوي حيث احتلَّ كما في مرسى امين مبشِّراً بالحقيقة بطرس هامة الرُّسل الذي عليهِ بنى فادينا كنيستهُ الامينة وبولس الاناء المختار والرسول العظيم (١ »

١) اطلب كتاب الطيّب الذكر البطريرك عبد يشوع خيَّاط في الرئاسة بطرس والاحبار الرومانيين على الكنيسة طُبع في رومية سنة ١٨٧٠ باللاتينيَّة والكلدانيَّة . وكتاب الخوري مرتين (l'abbé P. Martin) في القديسين بطرس وبولس وما قال فيها الكلدان

٢ (الكنيسة اليعقوبيَّة والسريانية) لها اقوال متعددة في عَضد هذه الحقيقة كقولها في عيد القديس بطرس وبولس: «فلنسبح الرب صاحب الجلال الذي جعل على رأس رومية العظمى نيرَ الرسولين الشهيرين بطرس وبولس» الى ان تقول: «على يد نيرون الكافر تكلَّل هامتا الرسل بطرس وبولس (١)»

(الكنيسة المارونيَّة) من مدارجها في يوم عيد القديسين بطرس وبولس ما تعريبهُ: «سمعان هامة الرسل وبولس المختار قد تلمذا رومية العظمى فسمع القيصر نيرون الاثيم تلميذ الشيطان وغضب وامر بقتلهما قتلًا»

(الكنيسة الارمنيَّة) في احدى صلواتها في الاحد الثاني بعد العنصرة تطلب الى الله نجاة الحبر الروماني بهذه الصلاة: «خلِّص يا رب ابن عبدك الذي شرَّفتهُ بكرسيّ رومية حيث وُضعت صخرة الايمان (وهو اسم بطرس) اساس الكنيسة»

(الكنيسة اليونانيَّة) لها في كتبها الطقسيَّة اقوال لا تُحصى في ما نحن في صدده. ففي الميناون في ٢٩ و٣٠ حزيران ما نصُّهُ: «اذ صُلبت (يا بطرس) اوَّلًا جريًا على آثار معلمك ونلت اوَّلًا اكليل ميتة مشابهة نصبت اوَّلًا كرسيَّك في السماء وظهرت وحدك خازن الملكوت .... يا قاعدة الرسل الاساسيَّة الهامَّة تركت كلَّ شيء وتبعت معلمك صارخًا اليه معك اموت لأحيا الحياة السعيدة فصرت يا بطرس اوَّل اسقف لرومية ومجدًا وشرفًا للعظيمة بين المدن وثباتًا للكنيسة التي لن تقوى عليها ابواب الجحيم (٢)»

وكان يمكنَّنا ان نُطيل سلسلة هذه الشهادات وفيما ذكرنا كفاية لمن طلب الحقيقة ونغتنم هذه الفرصة لذكر مقالة ادرجها المشرق في سنتهِ الخامسة (ص ٢١٧—٢٢٤) نُرى فيها اقوال الكتبة العرب في القديس بطرس فهي شهادات عسجديَّة خالية من كلّ غرض وتشهد شهادة صدق في كلّ ما توخَّينا اثباتهُ والله يهدي من يشاء

(١) اطلب كتاب السيّد اقليميس داود في تقليد الكنيسة السريانيَّة عن القديس بطرس. طُبع في رومية السنة ١٨٧٠ باللاتينيَّة والسريانيَّة

(٢) اطلب ايضًا كرَّاسة طُبعت في مطبعتنا سنة ١٨٨٦ جمعت فيها اكثر شهادات الكتب الطقسيَّة اليونانيَّة والروسيَّة

ملحق

لسلسلة مطارنة صور

لحضرة الخوري قسطنطين الباشا الباسيلي المخلصي

استأذنُ من حضرة الاب الفاضل الخوري كيرلس شارون في ابداء بعض ملاحظات بدت لي في مقالتهِ في سلسلة مطارنة صور (ص٣٠٦ و٤١٠) وفي زيادة بعض حلقات عليها مما وجدتهُ في اثناء مطالعتي تتمة للفائدة التي يتوخاها حضرته في خدمة التاريخ ومن ثمَّ اقرارًا بفضلهِ على المقدمة أُعلن لهُ هنا واجب الشكر والثناء

ان سبب انضمام ابرشية صور الى ابرشية صيداء بعد القرن الرابع عشر انما هو قلة عدد النصارى فيهما على ما هو ظاهر اليوم في كثير من ابرشيات المدن القديمة التي قلَّ فيها عدد المسيحيين فانضمّت الى ما جاورها حتى غدت الابرشية الواحدة عندنا مؤلفة من عدَّة ابرشيات وأُهملت القاعدة القديمة بان يكون «لكل مدينة اسقف او مطران» اللهمَّ الّا بعض المدن الكبرى وسبب ذلك احوال الزمان. فهذه حوران كان فيها قديمًا ابرشيات عديدة وليس فيها اليوم سوى ابرشية واحدة ومن ثم لا عجب ان يكون انستاسيوس الرمنيتي مطرانًا على صور وصيدا وبيروت وطرابلس وما يليها اي جبيل والبترون ولبنان

على ان الاب نيري اليسوعي زار في اول القرن الثامن عشر مدينة صور فلم يجد فيها الّا اثني عشر بيتًا من النصارى (١ واما صيدا فكانت مدينة عامرة وفيها مركز باشا الايالة. وكان فيها مطران لكنَّ عدد النصارى لم يكثر الّا في زمان افتيميوس الصيفي الذي كان شديد الغيرة على النفوس يشتغل بهمَّة عظيمة في ردّ المنفصلين الى الحظيرة البطرسية فلم تذهب مساعيه سدًى . ولنا شاهد على قلَّة النصارى في اوَّل اسقفيَّته صكٌ حصلنا عليهِ تاريخهُ سنة ١٠٩٧ (١٦٧٥م)

وما يدلُّ على نجاح عمل ذلك المطران ما جاء بعدَ ذلك في تقرير رئيس رهبان مار فرنسيس العام في القدس الشريف الذي كان بمقام القاصد في أيامه رفعهُ سنة

---

١) انظر المراسلات البانية (Lettres édifiantes, I)

١٧١٤ الى رئيس مجمع انتشار الايمان يخبره فيه ان المطران افتيميوس ردَّ من المنفصلين الى الايمان الكاثوليكي ١٥٠٠٠ نفس من اهل ابرشيته (١ وما هذا العدد الّا قسم من ابرشيته ربحه في هذه المدة الى الايمان الكاثوليكي وما زال بعد ذلك يضاعف مساعيهُ في هذا السبيل بالقول والعمل والقلم الى سنة موته سنة ١٧٢٣ ومن ثم لسبب اتساع هذه الابرشية فُصلت عنها بعد مماته ابرشية بانياس ورسم عليها سنة ١٧٢٤ المطران باسيليوس فينان وجعل اقامته في دير المخلص اذ كانت ابرشيته تشتمل على ما تشتمل عليه اليوم عندنا ابرشية صور وقسم من ابرشية بانياس وجميع قرى ابرشية صيدا في لبنان. ولما مات المطران باسيليوس سنة ١٧٥٢ (٢ عادت حال هاتين الابرشيتين الى اصلهما ومن ثم ارتسم على صور في السنة المذكورة المطران اندراوس الفاخوري وعلى صيدا المطران باسيليوس جلناف من يد البطريرك كيرلس طاناس. وعليه يجب ان يضمّ الى مطارنة صور من ياتي ذكرهم هنا

٣٠ ب (انسطاسيوس) المذكور قبلًا من قرية مرمريتا (وتُكتب مرمنيتا) من بلاد الحصن من اعمال طرابلس وكان مُشايعاً براكيم ضو الذي زاحم على البطركية مخائيل الحموي البطريرك القانوني الكاثوليكي (٣ وقد امضى انسطاسيوس ردًّا على رسالة البابا غريغوريوس الثالث عشر بالوكالة عن البطريرك براكيم ضو في سنة ١٥٨٣ بانهُ مطران صور وصيدا وبيروت وطرابلس وما يليها (٤

---

١) هذا التقرير محفوظ في سجلات مجمع انتشار الايمان بتاريخ السنة المذكورة

٢) انظر مقدمتنا على ميامر ثاودوروس ابي قرة اسقف حران حيث وردت ترجمة المطران باسيليوس فينان الآنهُ وقع هناك غلط في تاريخ سنة موته والصواب ما نذكر هنا وكما ورد في سجل رهبانيتنا الخاصية

٣) في العدد ٤٨ من مخطوطات مكتبة الواتيكان رسالة من البطريرك مخائيل الحموي الى الكردينال سنتا سفارينا وكيل ومدبّر امور الشرقيين بتاريخ سنة ١٥٨٣ مرسلة على يد لاونردو ابيلا اسقف صيدا اللاتيني يوضح لهُ بها ايمانهُ الكاثوليكي ويشكو من اعمال اخصامهِ وعندي نسخة من هذه الرسالة نقلتها عن صورتها هذه الاصلية

٤) انظر قائمة مخطوطات مكتبة اوبسال العربية (Tornberg: *Codices arabici, Upsal.* p. 311)

٣٠ ت (اغناطيوس) عطية من «كفرَبهم» من اعمال حماة كان كاتبًا عند فخر الدين ابن معن قبل انتدابهِ للمطرانية. ورسمهُ مطرانًا على صور وصيدا البطريرك يواكيم ابن زيادة (١٥٩٣—١٦٠٢) ثمَّ انتدبهُ المطارنة للبطركية سنة ١٦١٩ ومات قتلًا سنة ١٦٣٣

٣٠ ث (مكاريوس) خلف اغناطيوس وكان في مجمع دير السيدة بقرب راس بعلبك الذي انعقد سنة ١٦٢٨ على كيرلس الدباس الذي زاحم اغناطيوس عطية على البطريركية (١

٣٠ ج (ارميا) من قرية مرمريتا من بلاد الحصن من اعمال طرابلس رسمهُ مطرانًا على صور وصيدا البطريرك مكاريوس الحلبي في ١٩ تشرين الثاني سنة ١٦٤٨ في مدينة طرابلس كما روى ذلك مكاريوس في سلسلة مطارنة صور وصيدا وكما ذكر ولدهُ الشماس بولس في سياحة ابيهِ وبقي حيًا بعد موت البطريرك مكاريوس وكان مشايعًا لناوفيطوس الصاقزي الذي زاحم كيرلس الحلبي على البطركية كما يظهر من مصادقتهِ على حكم ناوفيطوس برذل بدعة الكلوينيين سنة ١٦٧٣ وقد نقل ذلك حضرة الاب كيرلس عن كتاب ثبات الايمان في كلامهِ عن ارميا المذكور

٣٠ ح (اغابيوس) كان في عدد الاساقفة الذين اجتمعوا في طرابلس سنة ١٦٨٠ في المجمع الذي عقدهُ البطريرك كيرلس الحلبي لاجل تاييد الايمان الكاثوليكي كما روى المرحوم غريغوريوس عطا في كتابهِ حوض «الجداول الخطوط» وذكر انهُ كان عندهُ نسخة من اعمال هذا المجمع فُقدت سنة ١٨٦٠ ومن ثم كان بين ارميا وافتيميوس على كرسي صور وصيدا اثنان اغابيوس ويواصاف ولم يتعرض لذكرهما الخوري كيرلس حداد في تاريخ الرهبانية المخلصية لانهما ليسا منها اذ لم تكن قد تأسست في زمانهما

وقد عدَّ حضرتهُ افتيميوس الصيفي نسيبًا للبطريرك افتيموس كرمة الحموي وابن اختهِ واسند ذلك الى تاريخ الاب بسون اليسوعي (٢ مع ان تاريخ الطائفة المطبوع يصرح بان أمَّهُ من بيت الدباس واسمها كاترينا. وقد راجعت كتاب الاب بسون في

١) انظر جريدة المنار السنة الاولى صفحة ٢٣٠ و ٤٩٥

٢) (Besson: *La Syrie sacrée*, p. 68)

المحل الذي اشار اليه فلم اجد فيه ما يدلُّ على مقصودهِ وانما الكلام هناك عن افتيميوس الرومي الذي من جزيرة شيو او صاقز المعروف لذلك بالصاقزي وهو الذي اتى بالاباء اليسوعيين الى دمشق وانشأ لهم فيها مدرسة سنة ١٦٤٣ بعد ان تعرف برئيسهم الاب كيرو في صاقز. وابن اختهُ الذي تأدَّب وتخرَّج على يد الاب المذكور هو ناوفيطوس الصاقزي الذي رسمهُ مكاريوس الحلبي مطرانًا على حماة سنة ١٦٥١ على ما يذكر مكاريوس المذكور في سلسلة مطارنة حماة وبعد موتهِ زاحم كيرلس الحلبي حفيده على البطركية كما تقدم ذلك. واذ كان ميلاد المطران افتيميوس سنة ١٦٤٨ كما نقلهُ عن كيرلس حداد فلا يصح من ثم ان يكون تلميذًا سنة ١٦١٣ (١

ولعلهُ اغترَّ بما جاء في كتاب بريك المطبوع ان البطريرك افتيميوس كرمة مات سنة ١٦٩٥ مع انهُ يذكر بعد ذلك موت مكاريوس خلفه الثاني سنة ١٦٧٢ وخلط ولم يميز بين افتيميوس كرمة الحموي وبين افتيميوس الرومي المصور المعروف بالصاقزي (٢

١) ومما يجب التنبيه عليه هنا ان العلامة لوكيان يسمي افتيميوس الرومي المذكور افتيثيوس والظاهر ان الذي نقل لهُ سلسلة البطاركة الى اللاتينية التبس عليهِ قراءة هذا الاسم بالعربي فنقلهُ لهُ هكذا وجرى على هذا الغلط كل العلماء الذين نقلوا عنهُ واسترسلوا اليه من القس يوحنا العجيمي والسعيد الذكر البطريرك مكسيموس مظلوم الى سيادة العلامة المطران يوسف الدبس والصواب ما ذكرنا ان اسمهُ افتيميوس على اسم معلمه وسلفه افتيميوس كرمة كما روى مكاريوس الحلبي وابنهُ الشماس بولس وكما روى الاب بسون اليسوعي في المحل المذكور قبلًا

٢) وهنا لا بُد ان ننبّه القرّاء الى ما وقع من الاغلاط في تاريخ بطاركة انطاكية للخوري بريك ولم يكتفِ المتولي نشرهُ بما فيهِ من المزاعم الواهنة حتَّى زاد عليهِ اضاف ذلك بما الحقهُ عليهِ من تاريخ نشأة الروم الكاثوليك وفيها من الاكاذيب ما يزري بشأنهِ فمن ذلك ما جاء في اساقفة بيروت نصاححهُ هنا لفائدة القرّاء

(برثانيوس توفي ودفن في دير كفتون من بلاد البترون الذي كان تابعًا لابرشيَّة بيروت وهو غير دير كفتين التابع لابرشية طرابلس في الكورة

(يواكيم) اصلهُ من قرية قطينة من اعمال حمص ولا وجود لقرية قطيفة ورسمهُ البطريرك افتيميوس الرومي الذي من صاقز والمعروف بالمصوّر وهو غير افتيميوس كرمة الحموي وهذا لم يقم في البطركية سوى ثمانية اشهر ولم يرسم احدًا من المطارنة الَّا غفرائيل مطران بانياس كما ذكر مكاريوس في ترجمة حياتهِ التي ذكر فيها مفصلًا كل اعمالهِ

(يواصاف) مات ودفن في كنيسة القديس ميخائيل في قبَّة النصر وهو حيٌّ كبير من احياء طرابلس مرتفع فوقها الى جهة لبنان ارتفاع القبة عندنا ولا وجود لقبة النصير في طرابلس وقد ذكر لي بعض العلماء الطرابلسيين ان قبة النصر وكنيستها كانت تابعة لابرشيَّة بيروت

• ٣٠ خ ثم ان المطران (اغناطيوس البيروتي) كانت ابرشيتهُ محصورة في مدينة صيدا ولم يكن لهُ شان ولا امر في صور ولم يكن قد ارتسم مطرانًا على صور وصيدا لكنهُ ابدى من الجبانة بازاء سلفسترس ما كان سببًا لرسامة المطران باسيليوس فينان وحصر ابرشيتهُ في صيدا وحدها وهذا نفسه كان سببًا لابعادهِ الى رواد بسعي سلفسترس وتخلي البطريرك كيرلس طاناس وكل الطائفة عنهُ لكنهُ ارعوى اخيرًا الى التوبة وقضى باقي ايام حياتهِ في دير المخلص بعيشة صالحة مرضية

• ٣٠ د (المطران برثانيوس نعيمة) لا « نعمة » ارتسم بعد موت المطران اندراوس في سنة ١٧٦٦ وعندي رسالة اليهِ باسم القس بطرس نعيمة بشان بطركية الدهان وجوهر واحزابهما

• ٣٠ ذ واما المطران (كيرلس) فهو من اكليروس عكا من بيت الدباس ابن اخي القس اثناسيوس الدباس مؤسس الطوش الرهبانية المخلصية في رومية ووكيلها وكان بينهما مراسلات متواصلة وعندي منها نحو عشرين رسالة مفيدة لتاريخ عكا ولبنان ظاهر العمر والجزار وكان اسمهُ المعروف بهِ جبرائيل الدباس اصابتهُ محن كثيرة لمّا كان وكيلًا لمطران عكا . ويؤخذ عليهِ طمعه في المطرانية مرارًا ولاسيما مزاحمتهُ للمرحوم ثاوضوسيوس حبيب على مطرانيّة عكا حتى منعهُ بعد الرسالة عن الدخول الى عكا واخيرًا اتفق مع جرمانوس آدم مطران حلب الذي كان كبير المطارنة واكثرهم نفوذًا على ان يتنازل لمطران حلب بكل حقوق مطرانية صور الشريفة بالتقدم على جميع المطارنة ومن ثم سعى لهُ جرمانوس آدم بذلك لدى البطريرك اغابيوس مطر والاساقفة وسعى لهُ ايضًا بتوصية فيهِ من رومية الى البطريرك المذكور الذي رسمهُ مطرانًا على صور سنة ١٨١٠ دون انتخاب الشعب لهُ وانما فوض ذلك لارادة البطريرك وانتخابهِ لهم من يريد ولما عرف بذلك اهل صور بعد الرسامة أبوا قبولهُ الّا انهم ما لبثوا الى ان اصلح ذات بينهم البطريرك المذكور ولم يتنازلوا لمطران حلب عن حقوق مطرانيتهم وكذلك لم يقبل بهذا التنازل مطارنة صور الذين كانوا بعدهُ . وقد اشتد الخلاف على هذا الامر في مجمع اورشليم بين مطران صور ومطران حلب حتى امتنع ان يمضي اعمالهُ الّا اول المطارنة ورُفع من ثم الامر الى روميــة فصدر حكم المجمع

المقدس لمطران صور بان لهُ حق التقدم وانهُ اول المطارنة بعد البطريرك وقد نشر هذا الحكم بنصه اللاتيني حضرة الاب كيرلس فلهُ منَّا الثناء والشكر على هذا

مطبوعات شرقية جديدة

Un traité des Œuvres arabes de Théodore Abou-Kurra év. de Harran publié et traduit en français pour la 1^re^ fois par le **P. C. Pacha**, *Paris*, in-8 pp. 47, 1905.

ترجمة ميمر ابي قرَّة في الصحَّة الدين المسيحي الى الافرنسية

يسرُّنا ان نبشّر القرَّاء بهذه الترجمة لأنَّ ميمر ابي قرَّة من المقالات اللاهوتيَّة التي تستلفت اليها ليس فقط نظر اهل بلادنا بل كلّ العلماء ولا سيَّما اللاهوتيين ومحبّي الآثار النصرانيَّة فنشكر لحضرة الاب قسطنطين باشا هذه الخدمة الجديدة للآداب النصرانيَّة ونحضُّ المستشرقين وغيرهم على اقتنائها . ونستغنم هذه الفرصة لتنبيه القرَّاء الى تغيير رأينا في اسم المدينة التي سُقِّف عليها ثاودوروس ابو قرَّة فانَّنا نوافق حضرة الاب قسطنطين على ما كتبهُ في مقدّمة ترجمته الافرنسيَّة ونسلّم لهُ بأنَّ حرَّان التي سُقِّف عليها ابو قرَّة ليست هي قارة او غيرها وانَّما هي المدينة المجاورة للرها كفانا على ذلك شاهداً قول ابي قرَّة نفسه في ميمره عن اكرام الصور حيث يذكر صورة المسيح المصونة في الرها ويدعو هذه المدينة « بمدينته » وهو قول ظاهر لا يبقي شكاً في مقام اسقفيَّته . على انَّنا لا نوافق حضرتهُ في ما كرَّره في هذه المقدّمة اذ نفى لابي قرَّة ما اثبتهُ لهُ حضرة الاب لويس معلوف اعني مقالتهُ في تأنُّس الله الكلمة فانَّ حجج الاب معلوف قويَّة لم ينتقدها الاب قسطنطين حتى الان (المشرق ٦ : ١٠١٤ و ٧ : ٤٩٣)

Zwei Gedichte von al-A'šâ, herausg., übers u. erlaeutert von **V. Geyer** *Wien*, 1905, pp. 223.

قصيدتان للاعشى الاكبر

قد شُغف العلّامة المستشرق النمسوي « غاير » بشعر الاعشى وهو يعدُّ طبع ديوانه على النسخة الوحيدة الكاملة التي تُعرف منهُ في مكتبة الاسكوريال قريباً من مجريط وما هوذا قد أحبَّ ان يُسلف العلماء من شغله مثالاً فعمد الى قصيدتي الاعشى الشهيرتين اللتين مطلعهما : « ما بكاء الكبير بالاطلال » ثمَّ « ودّع هريرة انَّ الركب

مرتحل.» ونشر الاولى في كتاب لا يقلّ عن ٢٢٣ صفحة . والقصيدة عبارة عن ٧٥ بيتًا نقلها الى الالمانيّة واثبت شروحها لكبار اللغويين وعلّق عليها من الملحوظات والتفاسير ما يحار لهُ عقل القرّاء. ولا نكون الاصادقين ان قلنا انَّ اعمالاً كهذه تشرّف اصحابها والبلاد التي تبرزُ فيها . ونشكر خصوصًا المسيو غاير لتقديره مصنّفات مطبعتنا التي يستشهد بها في عدّة امكنة ونتمنّى ان ينجز قريبًا ما باشر بنشره من ديوان الاعشى

Rabah et les Arabes du Chari. Documents arabes et vocabulaire. *Paris, Guilmoto*. pp. 64.

لغة رابح وقومهِ

في اواسط افريقية في القطر « المسمّى » تشاد قومٌ من العرب يدعى كبيرهم رابح وهم يتكلّمون بلغة خاصّة بهم هي خلطٌ من العربيّة ومن لغات القبائل المجاورة. فلمّا كانت البعثة العلميّة الفرنساويّة الى تلك البلاد سنة ١٩٠٢ سعى الدكتور ديكورس (Dr Decorse) بجمع بعض آثارها اللغويّة من روايات واوصاف وغير ذلك فنشرها محلّ غيلموتو في باريس مع ما يلحق بها من الملحوظات والحواشي وفي آخرها معجم للالفاظ . وهذا المجموع مفيد لدرس اللهجات العربيّة التي هي شائعة اليوم في تلك الجهات القاصية فنثني على همّة الجامع والطابع

الذخيرة

رواية معربة عن الافرنسيّة بقلم الاديب شبلي افندي ملّاط

طُبعت في بيروت ١٩٠٦ (ص ٨٦)

الذخيرة (Le Reliquaire) رواية افرنسيّة لاسطفان دوبوا (Dubois) مدارها على فتى اصاب من امهِ ميراثًا غصبهُ اياهُ بعض المشعوذين وسعى بقتل اليتيم لكنَّ الله بحسن عنايته نجّاهُ من ايدي اعدائه واعاد لهُ مالهُ المسلوب واحظاهُ بابيهِ المفقود بعد دوران الدوائر على المشعوذ . فكما ترى انَّ الرواية ادبيّة مؤثرة خالية من كلّ مجون او غرام وتصلح لمراسح المدارس الكاثوليكيّة وقد زادها جناب المعرّب حسنًا باتقان ترجمتها نثرًا ونظمًا فنشير الى ارباب المدارس بان يمتّعوا بها ألباب طلبتهم

مجموع اللآلي٠

جمعهُ واستخرجهُ الى العربيَّة الابوان مبارك ثابت الدبراني وبارك مارون المزرعاني الراهبان اللبنانيَّان . طُبع في بيروت بالعربية والسريانيَّة صفحاته ٤٨ + ٦٤

انَّنا نستقبل بالمسرَّة كل كتاب من شأنهِ ترقية الدروس السريانيَّة . وهذا المجموع يفيد طلبة المدارس لا سيَّما المترشحين للكهنوت يجدون فيهِ عدَّة مقاطيع بليغة المعاني من ائمَّة كتبة السريان كالقديس افرام ومار يعقوب السروجي وابن العبري . وكثير منها حديث الانتشار بالطبع سبق الى نشرهِ المثلَّث الطوبى غبطة السيّد البطريرك افرام الثاني اغناطيوس الرحماني فاخرجهُ من زوايا النسيان . وممَّا يزيد فائدة هذا المجموع بعض الشروح الملقَّة عليهِ فضلًا عن الترجمة العربيَّة التي تصحبهُ فنتمنَّى لهذا الكتاب رواجًا حتى اذا أُعيد طبعهُ يُصلح فيزداد حسنهُ بازالة ما وقع فيهِ من الاغلاط ل . ش

شذرات

المتحف السلطاني في الاستانة العليَّة — كنَّا ذكرنا سابقًا انَّ جلالة السلطان الاعظم بإرادة سنيَّة كان امر بان يضاف الى متحف العاديات ابنية تشيَّد لهذه الغاية وقد تمَّ آخرًا هذا البناء الذي لا تقلُّ مساحتهُ عن الف وتسعمائة متر مربَّع . والهمَّة مفرغة اليوم في تأثيث داخلهِ وقد زُيّن الباب الكبير بالطغراء الهمايونيَّة تحتها بالتركيَّة هذه الكتابة «اثاري عتيقه موزه سي» وفي هذه البناية ستعرض الآثار اليونانيَّة والرومانيَّة التي كانت في «چينيلي كشك» الذي كان اقامهُ جلالة السلطان محمَّد الفاتح وهو من طُرف الابنية الهندسيَّة امَّا البناء القديم فبعد ترميمهِ سوف يخصَّص بالآثار العربيَّة الاسلاميَّة

الحركة الاثريَّة — يذكر القرَّاء ما كتبنا عن الاداة التي اخترعها الدكتور برنلي المعروفة بالتليكانيك (٨ : ٧٢٦) بنى عليها اختبارات عجيبة لتحريك بعض ادوات عن بُعد دون اسلاك . وقد جرت في مدينة سنت اندره احد مرافئ اسبانية اختبارات عجيبة تأييدًا لهذا الاختراع فان احد علماء الاسبانيين امام عدد غفير من الحضور امكنهُ ان يحرك من البرّ مركبًا حربيًا على مسافة كيلومترين بنيف فكان المركب طوع حركاتهِ يتصرَّف بهِ كيف يشاء٠

اللغة السريانيَّة في بطريركيَّة الروم الانطاكيَّة — هذه شهادة جديدة وقفنا عليها بخصوص استعمال اللغة السريانيَّة في بطريركيَّة الروم الانطاكية اثبتها في تاريخ قبرس لادنس ماخيراس وهو من كتبة القرن الخامس عشر . قال في الصفحة ٨٥ من تاريخهِ اليوناني الذي طُبع في باريس سنة ١٨٨٢ : « انَّ اهل قبرس قبل دخول اللاتين فيها كانوا يتعلَّمون اليونانيَّة لكتابة الامبراطور والسريانيَّة لكتابة بطريرك انطاكية فبعد ان دخلها اللاتين اخذ اهل قبرس يتعلَّمون الفرنسويَّة فصارت لغتهم خلطاً من اللغتين اليونانيَّة والفرنساويَّة » . وهذا دليل واضح على شيوع اللغة السريانيَّة في كنيسة الروم الانطاكية كما تشهد عليهِ ايضاً الكتب المتعدّدة التي تُرى حتى يومنا في كلّ المكاتب الكبرى

اسئلة واجوبة

س سأل د. و. من ادباء البلدة : ما معنى قول الانجيل (مرقس ٣ : ٢٠) انَّ الذي يجدف على الروح القدس لا تُغفر لهُ خطيئتهُ لا في هذا العالم ولا في الآخر . وهل يوجد خطايا لا يمكن نوال الغفران عنها وما هي الخطايا المضادَّة الروح القدس

ج هذه الآية قالها السيد المسيح للفريسيين لمَّا نسبوا الى الشيطان المعجزات التي كان يصنعها بينهم . وهي من اكبر التجاديف لأنَّها تناقض الحقَّ سبحانهُ وتعالى وتكابر الروح القدس صاحب هذه المعجزات . ومثلها بعض الخطايا من جنسها كتُهين الله في كمالاتهِ وتحطّ من قدرهِ كقطع الرجاء من الخلاص وتوقُّع الخلاص بغير استحقاق الاعمال الصالحة ومعاندة الحقّ الصريح وحسد القريب على المواهب الروحيَّة الممنوحة لهُ والاصرار في الاثم وتأجيل التوبة الى ساعة الموت . وكلّ هذه تُدعى بالخطايا المضادَّة للروح القدس لأنَّها تردّ نعمة الله وتبطل مفاعيل رحمتهِ . امَّا قول الربّ انَّ الخطيئة ضدّ الروح القدس لا تغفر لا في هذا العالم ولا في العالم الآخر فمعناهُ انَّ هذه الخطيئة من الكبائر والكبائر في العالم الآخر لا تُغفر البتَّة لمن يموت غير تائب عليها . امَّا في هذا العالم فانَّ تلك المآثم تعمي قلب الخاطئ وتنقض رحمة الله ونعمتهُ وبذلك لا يعود يستحقّ الغفران من الله عزَّ وجلَّ . وتوبتهُ ما دام في هذه الحالة من المستحيل لسوء مشيئتهِ . لكنَّ الله اذا اراد يمكنهُ ان يمسّ قلب هذا الخاطئ بالنعمة فيرعوي وينال بالندامة الغفران عن خطيئتهِ بالشروط المفروضة ل . ش